

⊕.⊗⊗⊗⊗⊕ | ⊕⊗.⊕⊗⊗⊗

⊙⊗⊗⊗⊗ ⊗⊗⊗⊗⊗

| ⊕⊗⊗⊗⊗ ⊕⊗⊗.⊗⊗⊗⊗⊕

⊙⊗⊗⊗⊗ | ⊕⊗⊗⊗⊗⊗⊗ | ⊗⊗⊗⊗⊗⊗⊗ ⊗ ⊕⊗⊗⊗⊗⊕



المملكة المغربية

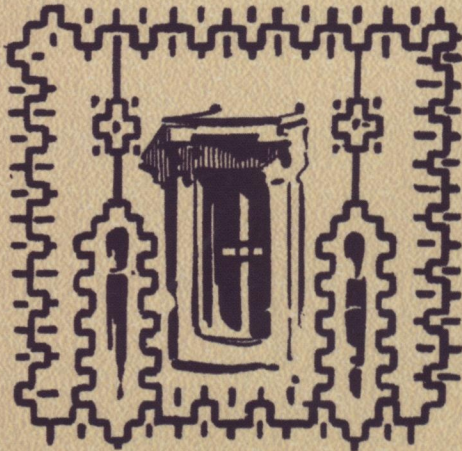
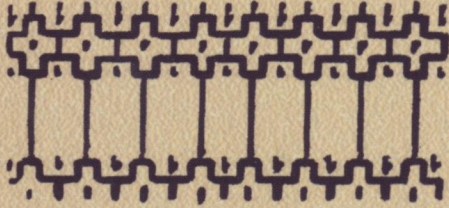
المعهد الملكي

للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1

# نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية



تأليف: الأستاذ علي صدقي أزايكو

الرباط 2004

نماذج من أسماء الأعلام  
الجغرافية والبشرية المغربية

## تنبيه

نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أنه، نظرا لأسباب تقنية، فإن حرف «الكاف المعقودة» في هذا المؤلف مرسوم على الشكل التالي "گ"، بدل من "گ"، (أي الكاف فوقه ثلاث نقاط)، كما أن علامة السكون (◌ْ) تظهر كأنها دال مصغرة (◌ْ).

٠XIIΛξ+IΠЄ.٤OξΘ  
oOξIox oXIIΛol  
I+%OOIo +oЄo\*ξ٤٤  
oЄЄoO|+٧%Qξ٤٧|%Є\*O%٤ A  
+LIII.E+



المملكة المغربية  
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية  
مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1

# نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية

تأليف : الأستاذ علي صدقي أزايكو

الرباط 2004

## منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1 -

العنوان : نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية

السلسلة : سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1 -

التأليف : الأستاذ علي صدقي أزايكو

الناشر : المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

الإخراج والمتابعة : مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل

تصميم الغلاف : وحدة النشر (مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل)

المطبعة : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط

الإيداع القانوني : 2004/1464

## تصدير

يسعد مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أن يقدم للقارئ الكريم هذا الإسهام العلمي المتميز لأستاذنا الجليل علي صدقي أزيكو المعروف بكفاءته العلمية في مجال البحث التاريخي بالمغرب. ولعل أهم ما يميز هذا العمل هو توظيفه اللغة الأمازيغية في دراسة تاريخ وأصول الحضارة المغربية ويتجلى ذلك في استثماره لهذا الرصيد اللغوي الأمازيغي للإقتراب أكثر من بعض الحقائق التاريخية التي لا تسمح المصادر التقليدية بالتوصل إليها، مبرزاً بالتالي أن الاستعانة باللغة الأمازيغية يمكن أن يحل بعض الألغاز التاريخية المستعصية على الفهم أو التي يعتقد البعض أن تفسيرها أصبح نهائياً.

والملاحظ أن مجال اهتمام هذه الدراسات هو الأطلس الكبير الغربي الذي كرس الأستاذ علي صدقي أزيكو قسطاً كبيراً من حياته لدراسة تاريخه وحضارته إلى درجة أنه أصبح جزءاً منه. وهذا الأمر واضح جداً في هذه الدراسات التي يجمعها خيط واحد هو النفوذ إلى أعماق هذه المجتمعات التي ظلت دائماً متشبثة بأصالتها وحضارتها المتجذرة في التاريخ. ومثل هذه الأبحاث النموذجية من شأنها أن تكون حافزاً للمزيد من البحث في جوانب أخرى من تاريخ مختلف مناطق المغرب التي ما تزال تنتظر من يسלט الأضواء الكاشفة عليها.

**محمد حمام**

مدير مركز الدراسات التاريخية والبيئية

## مقدمة

لا يختلف اثنان حول أهمية الوثيقة والمصادر المكتوبة في كتابة التاريخ بصفة عامة وتاريخ المغرب بصفة خاصة. وحينما نتحدث عن الوثيقة فإن أول ما نفكر فيه هو الوثيقة المكتوبة مهما كانت طبيعتها (إخبارية، فقهية، أدبية، فلسفية، عرفية إلخ...) غير أن الوثائق المكتوبة نادرة، إن لم نقل منعدمة في عصور تاريخية معينة، وخصوصاً منها الموعلة في القدم، وحتى بالنسبة للعصور القريبة منا توجد مجتمعات لا تتوفر على الوثائق المكتوبة الكافية إلا نادراً، ويتعلق الأمر هنا بصفة خاصة بالمجتمعات الإنسانية التي تسود فيها الثقافات الشفوية، والمغرب من هذا النوع من المجتمعات إلى فترات قريبة جداً. ولهذا السبب، تبدو كتابة تاريخ هذه المجتمعات صعبة تتحدى المؤرخين.

غير أن اعتماد المؤرخ على أشكال متنوعة من الوثائق يساعده على النفوذ إلى عمق التاريخ الاجتماعي، كما يساعده على تجاوز تاريخ الأحداث المتداول إلى حدود اليوم، المعتمد أساساً على الوثائق المكتوبة التي رغم أهميتها تظل محدودة الفائدة بالنسبة لكثير من القضايا التاريخية ذات المدى الطويل.

كما هو معروف، فالتاريخ السائد في المصادر التقليدية كان دوماً تاريخاً رسمياً يهتم بأنشطة الأنظمة السياسية القائمة ولا يهتم بتاريخ المجتمع بكل مكوناته. والتاريخ لا ينحصر في الأنشطة الرسمية التي ليست في حقيقة الأمر إلا انعكاساً باهتاً لتاريخ كبير تجري أحداثه خارج الميادين المفضلة لدى الأخباريين. ولإعادة بناء هذا التاريخ العميق أصبح من الضروري البحث عن الوثائق في مظان أخرى. وتبقى اللغة في هذا الصدد واحداً من بين أفضل الوثائق التي يمكن أن تمد الباحث بمعطيات وتدقيقات مفيدة لا توجد في المصادر التقليدية المألوفة، وهي تدقيقات ثمينة تسلط أضواء جديدة على مشاكل لم يتم بعد الاهتمام إلى حلها رغم أنها تبدو للبعض وكأنها مفسرة تفسيراً مقبولاً ونهائياً.

وحيث إن الشمال الإفريقي هو بلاد الثقافة بامتياز، تتعايش فيه إلى اليوم لغتان تاريخيتان هما الأمازيغية والعربية، فلا يمكن تجاهل الفائدة القصوى التي يمكن أن تزود بها دراسة هاتين اللغتين البحث التاريخي. ودراسة اللغة الأمازيغية بصفة خاصة، تساعد الباحثين كثيراً على قراءة موضوعية وتأويل صحيح للعدد الكبير من الأسماء الموشومة إلى الأبد على امتداد أرض شمال إفريقيا.

أقدم في هذا الكتاب بعض المواد التاريخية التي اعتمدت في مقاربتها على اللغة الأمازيغية لمقاربتها مستعينا في ذلك بمعطيات أخرى منبثة في المصادر التاريخية. وسيلاحظ القارئ أن جل موادها تتعلق بالأطلس الكبير الغربي وسوس، ويرجع ذلك أساساً إلى اهتمامي بتاريخ هذه المنطقة. وما قدم هنا ليس إلا نماذج قليلة عن المنطقة

المذكورة، وتتعلق بأسماء جغرافية وبشرية ومؤسسات سياسية واجتماعية وثقافية. وكثيرة هي الأسماء المشابهة لها الموجودة في جميع مناطق المغرب وبقية بلدان شمال إفريقيا بجبالها وسهولها وهضابها ووديانها وواحاتها وصحرائها... وإذ أضع هذا المؤلف المتواضع رهن إشارة الباحثين، فإنني أتمنى أن يكون محفزاً لهم على الاهتمام أكثر بمثل هذه الوثائق الموشومة في المكان والتي ستساعد لا محالة كثيراً على إعطاء نظرة واسعة ورسم صورة واضحة قريبة من الواقع التاريخي الاجتماعي والثقافي للمغرب.

تأوينخت، أوائل يوليوز 2003

# الأسماء الجغرافية



## أَغْبَارٌ

« أَغْبَارٌ » مفرد مذكر، يجمع على « إِيغْبَارِنٌ »، وصيغة التصغير منها هي « تَأَغْبَارَتٌ » وتجمع على « تِيغْبَارِينٌ »، اسم لعدة أمكنة يوجد المعروف منها حتى اليوم في وادي نفيس الأعلى وبلاد تيفنوت بأيت وَاوَزْكِيتَ الجنوبيين.

أما المدلول اللغوي للكلمة، فيبدو أنه مستمد من الوضع الطوبوغرافي للأماكن التي تحمل الاسم. إذ يلاحظ أنها تقع كلها في أعلى جزء من وادٍ ما، أي في المنطقة التي تتجمع فيها المياه الأولى التي تكون رأس مجرى مائي. فهي إذن تعنى أعلى حوض النهر.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن ثلاثة من أربعة أماكن تحمل الاسم المذكور، توجد بها مناجم معدنية، منها ما عرف من عهد الموحدين. فقد ذكر البيدق أن عبدالمومن بن علي عاقب أيت واوزكيت حينما « حصروا العدانيين في أغبار » تيفنوت. كما أشار مؤلف رحلة الواقد إلى « أن بلدة أغبار [بوادي نفيس الأعلى] فيها كثرة المعادن من حديد وغيره... » وأضاف بأنه أخبر بأن هذه المعادن كانت تستغل منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت.

وفي عهد الحماية نجد أن معادن « تاغبارت » بأعلى وادي أگُنْضِيصْ - أحد روافد نفيس العليا - كانت تستغل من قبل شركة معدنية عصرية، واستمر ذلك إلى وقت قريب.

ويعتبر «أَغْبَارَس» وادي نفيس، ذا أهمية خاصة نظرا لمميزاته المتعددة. ومن بينها تغلغل الواديين المكونين له - وهما أَسِيفَ نْ - إِيْجَانَاتْنْ وأَسِيفَ نْ - مَسُورْ - تغلغلا عميقا في كتلة تيشكَا الجبلية. مما جعله على اتصال مباشر بالمجموعات البشرية المجاورة لها، والتي تعتبر من أقوى المجموعات الجبلية وأشدّها مناعة وأكثرها غيرّة على استقلالها منذ أقدم العصور. وتزداد أهمية هذا الموقع خصوصا إذا علمنا أن الموسم الرعوي الذي ينعقد كل صيف بمراعي تيشكَا، يلعب دورا هاما في شتى مجالات حياة سكان المنطقة. أضف إلى ذلك أن هذا التغلغل جعل بلاد أغبار قريبة جدا من سوس الأعلى، مما سهل الاتصال وتبادل المصالح بينهما.

إن الناظر إلى بلاد أغبار، سيلاحظ بسرعة أنها منعزلة وسط قمم جبلية عالية، وقرائها تثبت على جوانب أودية عميقة وضيقة، ولا تصلها بالخارج إلا مسالك جبلية كبيرة الارتفاع وصعبة العبور ومعدودة على الأصابع.

ولهذه الأسباب تمكن سكان أغبار من الاحتفاظ باستقلالهم السياسي ونظامهم المجتمعي الجماعي حتى زمن قريب. ولم يتمكن القائد الكنتافي من إخضاعهم لنفوذه -رغم قوته-، إلا غداة موت السلطان الحسن الأول، وبعد معارك عنيفة بين الطرفين.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن شيخ زاوية تاسافت لم يجد ملجأ يلتجئ إليه هو وعائلته، حين داهمت حركة باشا مراکش عبدالكريم بن منصور، وادي نفيس سنة 1715، إلا بلاد أغبار التي كانت كذلك ملجأ لجزء من سكان الوادي الهاريين لنفس الأسباب.

## المراجع :

- البيذق (أبو بكر الصنهاجي)، كتاب أخبار المهدي، تصحيح وترجمة ليثي بروفّا، باريس، 1928، النص، ص. 127، الترجمة، ص. 217 وتعليق رقم 2.
- عبدالله بن ابراهيم، رحلة الواقد...، تحقيق صدقي علي، الرباط، 1988، (النص المرقون)، ص. 124، 125، 129 وما بعدها، وأماكن أخرى.
- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire touareg - Français**, I.N.F., 1952, T.IV, p.1690.
- Robert Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 12, 18, 134, 162, 186, et passim.
- Id., «L'Aghbar et les Hautes-Vallées du grand-Atlas», dans **Hespéris** Année 1927, 1<sup>er</sup> Trimestre, pp. 1-32.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut- Atlas**, Paris 1942, p. 34.

## أَكْرَكُورْ

«أَكْرَكُورْ» اسم قرية تقع على الحافة الشمالية الغربية لهضبة «كِيكْ» الكائنة جنوب غرب مراكش. وهي مبنية في تراب «أَيْتْ وَأَوْزَكَيْتْ»، غير بعيد من بحيرة سدّ «لَالَأْ تَاكْرَكُوسْتْ» الذي تتجمع فيه مياه نهري نفيس وأمزميزي. إن كلمة «أَكْرَكُورْ» معروفة في مناطق أمازيغية من شمال إفريقيا، ومع ذلك فإن مدلولها اللغوي غير مضبوط لحد الآن. ومع ذلك يمكن أن نفترض أنها تعني: المجري الواسع الذي كونه نهر ما عند خروجه من الجبل إلى السهل. ومعلوم أن «أَكْرَكُورْ» تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس، في منطقة يتسع فيه مجراه بشكل بيّن، خصوصاً إذا قورن بمجراه الأعلى.

لقد لعبت قرية «أَكْرَكُورْ» دورا تاريخيا هاما في حياة سكان جبال نفيس، إذ كانت مركز إقامة قواد المخزن المركزي، المكلفين من قبل قائد أهل سوس والقصبة بمراكش، بشؤون أهل وادي نفيس وإيفيغانيين.

وبعد موت السلطان الحسن الأول، استولى عليها القائد الطيب الكنتافي، ثم نازعه عليها القائد الكلاوي. وبعد جولة من المفاوضات بين القائدين عادت في بداية القرن العشرين إلى سلطة الكنتافيين، وكانت «أَكْرَكُورْ» بالنسبة إلى هؤلاء ذات أهمية استراتيجية كبيرة،

لأنها كانت نافذتهم على الحوز والعاصمة الجنوبية مراكش، كما كانت مركزا لمراقبة أهم طريق يربط وادي نفيس بحوز مراكش.

### المراجع :

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, I.N.F., 1952, T.IX, P. 1755.
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 126, 133, 275, 277, 301, 336.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie de Haut. Atlas**, Paris, 1942, p.89.
- C. Justinard, **Le Caïd Goundafi**, Casablanca, 1951, pp. 38, 39, 46-47.
- P. Pascon, **Le Haouz de Marrakech**, Rabat, 1977, T. 1, pp. 28, 182, 274, 346, 348, 367.
- Ch. de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc**, 1883-1884, Paris, 1888, p. 337.
- Mission de Segonzac, **Voyage au Maroc** (1899-1901), Paris, 1903, 3<sup>e</sup> partie, Le sous, p.238, sqq.

## أوكْدَمْتْ

إن المدلول اللغوي لكلمة «أوكْدَمْتْ»، يمكن تحديده بالرجوع إلى الجذر الذي تنتمي إليه، ألا وهو «كَّ- دَمَّ»، وهذا يتضمن معنى الارتفاع والعلو المشرفين على مناطق واسعة مجاورة، واللذين يستعملان عادة كأماكن للمراقبة والحراسة، ولإعطاء إشارات إنذارية إعلاما للمعنيين باقتراب خطر ما. وهذه الأماكن تقع في غالب الأحيان عند الحدود الفاصلة بين منطقتين مُتَوَازِيَتَيْنِ عن بعضهما بسبب التضاريس.

وهذا المعنى يتوفر إلى حد كبير في بلد «أوكْدَمْتْ» وبلد «إيگدميُون» المتجاورين واللذين يستمدان اسماهما من أصل واحد. ومن الجدير بالذكر أن المادة تعطي معنى آخر يدل على الشيء المقلوب على فمه أو على الجهة المفتوحة فيه.

وقد لوحظ أن كل الكلمات التي تدخل مادة «ك-د-م» في تكوينها- وهي كثيرة في المناطق الجبلية على الخصوص- تتشابه في شكلها الطوبوغرافي وفي وظيفتها الاجتماعية.

ومن الدلائل الواضحة على المدلول الوظيفي للكلمة، استعمال لفظ «ءكْدِيمْ» لتدل على أبراج المراقبة في «قصور» دَادَسْ وفِرْكَلَا وتُودَغْتْ، وفي بعض الأماكن في وادي درعة.

إن بلاد «أوكدمت» تقع في الحوض الأعلى لنهر نفيس، وسكانها (آيت أوكدمت)، تنتشر قراهم على جوانب نهر أوكدمت (ءاسيفن- أوكدمت) أحد الروافد العليا لنهر نفيس.

ويقع وادي وكدمت بصفة عامة، في الجهة الغربية من تينمل وتحده من الشمال والغرب قمم تشرف على بلاد إيكدميون أو كدميو، ومن جهة الجنوب قمم أخرى تشرف على وادي أغبار ووادي نفيس الأعلى.

ينتمي سكان «أوكدمت»، كباقي سكان الأطلس المراكشي، إلى مصامدة الجبل، يتكلمون الأمازيغية، ويعيشون على الزراعة وتربية المواشي.

في عهد الموحدين، كانوا على-ما يظهر- يعدون من إيكدميون أو كدميو، لأن الاسم الذي يعرفون به اليوم لم يرد في المصادر المعروفة.

في القرن الثامن عشر، يبدو سكان أوكدمت -حسب ما ورد في رحلة الوافد، كمجموعة مستقلة بنفسها، تتحكم في حركيتها السياسية والمجتمعية الانتماءات اللفية لسكانها. ولكنها منجذبة -على مستوى التحالفات السياسية- نحو إيكدميون أكثر من انجذابها نحو وادي نفيس. ولكن موقع بلادهم الاستراتيجية يكتسي أهمية قصوى، بالنسبة إلى جيرانهم من الناحية الجنوبية. ولهذا نجد أن آخر «حركة» مخزنية، وجهت إلى جبالهم في عهد المولى إسماعيل، دحرها الجبليون في «أوكدمت» بالذات، وقتل فيها، من بين من قتل، قائدان من قواد المخزن.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، تمكن القائد الحاج الطيب الكنتافي من ضم «أوكدمت» إلى إيالته بالقوة، لأنه بدون ذلك، سيكون مركز بوادي نفيس مهدداً على الدوام من ناحية الشمال. ومنذ العهد الكنتافي بقيت «أوكدمت» تابعة إداريا لوادي نفيس. وهي اليوم مشيخة تابعا لقيادة «تالات ن - يعقوب» بنفس المنطقة.

### المصادر:

- عبدالله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد...، تحقيق صدقي علي، كلية الآداب، الرياط، 1988، ص. 59-58، 312 وغيرها.
- Ch. de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc**, Var. 1985, p. 214-215.
- Id. **Dictionnaire Touareg - Français**, Imp. Nat. de France, 1951, vol. I, pp. 180, sq. 399.
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 18, 308, 336.
- E. Laoust, **L'habitation chez les transhumants du Maroc central**, Paris, 1935, p. 245.
- Id. **Contribution à une étude de la toponymie du Haut - Atlas**, Paris, 1942, p. 26-27.

## أونائين

أونائين هو اسم بلد يقع على السفح الجنوبي لجبل درن. تحده من الشرق بلاد تيفنوت، ومن الغرب بلاد أيت سَمَّگ، ومن الشمال حوض وادي نفيس، ومن الجنوب بلد أيت سَمَّگ وإيوزيون. وهو عبارة عن منخفض داخل الجبل (1000-2250)، تخترقه سيول كثيرة، تتجمع في نهاية الأمر لتكون نهر أونائين (أسيف ن - لَمَدَاد). سكانه من مصاميد جبل درن وسوس، يتكلمون الأمازيغية. ويتصلون بالمجموعات الأخرى المجاورة عن طريق ممرات جبلية قديمة ومعروفة (مثل تيزي ن - ويشدآن وتيزي ن - وفرا وتيزي ن - تامتركا، وغيرها). تخترقه اليوم طريق للسيارات تصله بوادي نفيس وسهل سوس. أهم أنشطة السكان هي الزراعة المسقية وتربية المواشي<sup>(1)</sup>.

إذا كان «لاووست» (E. Laoust) قد لاحظ وجود نوع من التقارب اللفظي بين كلمة أونائين ولفظ أونأ (= جمع أنو= بشر)، فإنه تلافى تأكيد وجود أصل مشترك للكلمتين. ونعتقد أنه على حق حينما فعل. أما إشارته بالمناسبة إلى حصن هُنَيْن، فتعتبر في نظرنا أكثر إفادة. إذ يلاحظ أن التقارب اللفظي بين هُنَيْن وأونائين يكاد يكون كاملا. وسنرى الآن أن معناهما ربما كان كذلك واحدا<sup>(2)</sup>.

إننا نميل إلى الاعتقاد بأن كلمة أونائين جمع غير قياسي أهناي الذي يجمع على إيهانائين، ويعني من بين ما يعني: النظر والمنظر

والمنظرة بالمعنى الجميل فقط بالنسبة إلى الكلمتين الأخيرتين<sup>(3)</sup>. والفعل المستعمل اليوم في اللغة المحلية هو **أُنَائِي** = انظر، بحذف الهاء وتشديد حرف النون<sup>(4)</sup>. والذي يعرف بلاد **أُونَائِيْن** سيقتنع بسهولة بأنها بلاد جميلة بمنظرها، مكشوفة أمام الناظر إليها من المرتفعات المحيطة بها، ومشرفة بعلوها على سهل سوس الأفيح. واعتماداً على وصف البكري لحصن **هُنَيْن** نجد تقاربا كبيرا في المميزات الطبيعية لكلا الموقعين<sup>(5)</sup>. ويلاحظ بالنسبة إلى **هُنَيْن** أنها احتفظت بالهاء المرفوعة، في حين سقطت الهمزة التي لا بد أن تكون في الصيغة الأمازيغية. وذلك لأننا نعتقد أن النطق الأصلي هو **أَهْنَائِيْن** (= **أُونَائِيْن**?) .

إن أقدم إشارة تاريخية وصلت إلينا عن **أُونَائِيْن**، ترجع إلى بداية تأسيس الدولة الموحدية، حيث ذكر أبو بكر الصنهاجي البيذق، أن أهل **أُونَائِيْن** كانوا في التنظيم الموحدى يعدون من القبائل، وأن بلادهم فتحها المهدي ابن تومرت عام 1124-25/518، أي في نفس السنة التي فتح فيها وادي نفيس، حيث بنى مدينة تينمل.

يبدو أن أهل **أُونَائِيْن** لم يقبلوا بسهولة الخضوع لسلطة ابن تومرت فانعكس ذلك بشكل سلبي على رتبتهم كمجموع في التمييز الموحدى. ومما يؤكد ذلك أن المهدي ابن تومرت أعطى كاتبه المقيم بتينمل، ملول بن إبراهيم ابن يحيى الصنهاجي، أسهما في **أُونَائِيْن**<sup>(6)</sup>. وقد يفهم من ذلك أن تلك الأسهم لم تتوفر إلا بعد أن أخذت قهراً من أصحابها. إذ ليس من المستبعد أن يكون أهل **أُونَائِيْن** قد عرفوا نفس المصير الذي عرفه إيْزْمِيْرْن أو هزْميرة الجبل، سكان وادي نفيس، حين قتل أغلبهم وتقاسم الموحدون ممتلكاتهم بأمر من ابن تومرت<sup>(7)</sup>.

في القرن الثامن عشر، يبدو من خلال كتاب رحلة الوافد أن أهل **أُونَايْن** كانوا مندمجين في حركة التاريخ المحلي، خصوصاً مع جيرانهم أهل وادي نفيس وأيت سَمَّگ<sup>(8)</sup>. يخضعون كباقي جيرانهم لنظام حكم **إيمغَارْن** أو **الأشياخ** والتحزب اللفي<sup>(9)</sup>.

وحيثما قام باشا مراكش عبد الكريم بن منصور بحملته العسكرية على وادي نفيس قصد إخضاع سكانه وتطويع شيخ زاوية تأسَّفتُ المجاورة لتينمل، وذلك في سنة 1715/1127، كانت بلاد **أُونَايْن** هي مقر المحلة المخزنية التي بقيت هناك أكثر من شهر<sup>(10)</sup>. وقد مرت حركة الباشا من هذه الناحية، لأنها أسهل طريق يمكن أن يسلكها جيش للوصول إلى الوادي المذكور. وقد اضطر الباشا سكان **أُونَايْن** إلى المشاركة في الهجوم على وادي نفيس، بعد أن جند منهم ثلاثة آلاف وجعلهم في مقدمة جيشه<sup>(11)</sup>، لأنهم يعرفون مسالك جبل ويشدَّان الذي يفصل وادي نفيس عن بلدهم. وقد سهلوا عليه كثيراً اختراق صفوف المقاومة المحلية<sup>(12)</sup>.

وبعد انتهاء مهمة «الحركة» في وادي نفيس، غادرت بلاد **أُونَايْن**، بعد أن أخذ الباشا من سكانه ثلاثة قناطر من المال<sup>(13)</sup>.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حينما عادت منطقة أطلس مراكش تطفو على سطح الأحداث، بظهور ما سمي فيما بعد بكبار القواد، بدأ اسم **أُونَايْن** يذكر من جديد. فبعد أن كان أشياخ **أُونَايْن** تحت حماية شيخ تالامت، على أومنصُور بتاكتَاتَفْت<sup>(14)</sup> لأن رابطة اللّف تجمعهم، أصبحوا في نهاية القرن خاضعين لسلطة عائلة

أيت لحسن بتَاكَنْتَافَتْ. وبالفعل فقد استغل القائد الحاج الطيب الكنتافي حالة «السيبة التي تلت موت المولى الحسن الأول، ليوسع منطقة نفوذه في السفح الجنوبي للأطلس الكبير. وهكذا أخضع أونايين وأيت سَمَك في ما وراء تيزي نْ - تَاسَتْ خلال سنة 1895 (15) وفي 13 شعبان 18/1314 يناير 1897، عين رسميا قائدا على «أيت إخْلَفْ وأيت قضني وأكديم وأفرا وتضيكك من فرقة أناين» (16).

غير أن توسع مناطق نفوذ عائلة الكلاوي في اتجاه الجنوب، لتشمل أيت وأوزكيت وإيسكْتَانْ، أعطى لبلاد أونايين أهمية استراتيجية، سواء بالنسبة إلى الكنتافي أو بالنسبة إلى الكلاوي. ولذلك أصبحت منطقة نزاع بين الطرفين. وهذا ما أدى إلى تقسيمها بينهما في العقد الأول من القرن العشرين (17). وقد كرست الحماية الفرنسية هذا التقسيم التعسفي ونتيجة لذلك أصبح الخلل الذي ألحقه بالتطبيقات المحلية لمجتمع أونايين، خلال دائما، لم تعد تتحكم الإدارة المحلية في إصلاحه.

#### المصادر:

(1) انظر:

- E. Laoust, Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas, Adrar n Deren, Paris, 1942, pp. 26 et 145.

- J. Dresch, «Documents sur les genres de vie de montagne dans le massif central du grand-Atlas», **Commentaires**, Tours 1941, p.7 et passim, (voir aussi les cartes).
- A. Arrif, **Compétition Caïdale et procès d'intégration d un canton matagnard : l'Unayn**, in «Annuaire de l'Afrique du Nord» XXII, 1983, pp. 347-360.
- A. Herzenni, **L'Ounain, Modes d'utilisation des eaux d'irrigation et rapports sociaux**, in.«Bulletin économique et sociale du Maroc», N°159-160-161 (sans date )pp. 85-110.
- (2) انظر: «لاووست» E. Laoust، المراجع السابقة، ص. 145؛ ونشير هنا إلى أن أحمد عريف اعتبر ما أشار إليه لاووست حقيقة ثابتة.
- (3) انظر:
- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg - Français, Dialecte de l'Ahaggar**, Tome III, Imprimerie Nationale de France, 1951, p. 1358.
- (4) انظر:
- E. Destaing, **Vocabulaire Français - Berbère**, Paris, 1920, p. 296.
- (5) انظر أبا عبيد البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر «البارون دو سلان» le B. de Slane، باريس 1965، ص.80.
- (6) انظر أبا بكر الصنهاجي المكنى البيذق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تصحيح وترجمة إ. لافي بروفنسال، باريس 1928، النص، ص. 43، 39، 132؛ الترجمة، ص. 60، 66، 223.
- (7) انظر ابن القطان، **نظم الجمان**. تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية، بتطوان، بدون تاريخ، ص. 94.

- (8) انظر عبدالله بن ابراهيم، **رحلة الواقد في أخبار هجرة الوالد... تقديم وتحقيق وتعليق صدقي علي، كلية الآداب بالرباط، ص. 30، 67. (9) رحلة...، ص. 72؛ J. Dresch، المرجع السابق، ص. 8-9.**
- (10) رحلة...، ص. 75، 80، 108، 119-120، 123.
- (11) رحلة...، ص. 82.
- (12) رحلة...، ص. 93، 100، 115.
- (13) رحلة...، ص. 118.
- (14) انظر:
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, pp. 134, 303, 336.
- (15) انظر R. Montagne، المرجع السابق، ص. 336؛ وكذلك
- Colonel Justinard, **Le Caïd Goundafi**, Casablanca, 1951, p. 76.
- (16) انظر رسالة السلطان عبدالعزيز في
- Paul Pascon, **Le Haouz de Marrakech**, Rabat, 1977, T.2, p.106
- (17) انظر «روبير مونتاني» المرجع السابق، ص. 340؛ وكذلك أحمد عريف المرجع السابق، ص. 356-357.

## إيگيليز

«إيگيليز» كلمة أمازيغية لم يضبط بعد مدلولها اللغوي. غير أن المادة المعجمية «كَلَز» تحتوي على معانٍ تقرب كثيراً مما يمكن أن يكون هو المعنى الحقيقي لـ «إيگيليز». من بين هذه المعاني نجد ما يدل على: الشيء المتروك أو المنعزل/على البقايا أو الزوائد/على مخلفات أي شيء نصف محروق.

كما أن كلمة «إيگيليز» (ج. إيگِلَزَان) أو «إيگَلِكِيَز» (ج. إيگَلِكِيَزْن) (وهذه الأخيرة يمكن أن تنطق بقلب الكاف الأخيرة ياءاً)، تتعمل حتى اليوم لتدل على الحشرة السوداء المعروفة باسم «الجُعَل».

إن هذه المعاني يمكن أن تلاحظ كلها في جبل «إيگيليز» القريب من مراكش بصفة خاصة. فهو شبه متروك ومنعزل، وسط سهل الحوز الواسع بالنسبة إلى السلسلة الأطلسية ومرتفعات «جبيلات» الواقعة على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت. وكأنه من بقايا الجبال المذكورة أو من زوائدها، انسحبت عنه وبقي فضلة في شكل تل صخري شاهد وسط بيسط من الأرض. كما أن اللون الغالب عليه في عين الناظر إليه، هو اللون الرمادي المائل إلى السواد.

لقد ارتبطت شهرة كلمة «إيگيليز» أو «إيگليز»، بمكانين تاريخيين هاميين هما: جبل بـ «أزَعْن» أو هرغة سوس: كان الإمام

المهدي بن تومرت يختلي فيه للتأمل والتعبّد، قبل انتقاله إلى تينمل. وهو الذي ينعته البيدق بـ «إيگيليز متاع هرغة»، وفيه يقول كذلك : «... لما دخل لـ [الإمام المهدي] الغار [إيڤري] معتكفا فيه بإيگيليز برباط هرغة...»، تلقى البيعة الأولى من أتباعه. وقد بوع البيعة الكبرى حين استقر بتينمل. وبعد موت محمد بن تومرت، اتخذ الموحدون «الغار المقدس» و «المسجد المعظم» الذي بجواره، مزاراً يحتفى به، وتشد إليه رحال الخلفاء.

ويبدو أنه بقي كذلك حتى القرن الثامن عشر، وهذا ما يفهم على الأقل من عبارة مؤلف رحلة الواقد، حين يقول: «... وقد سألت بعض من لقيته من أهل بلده [ابن تومرت] من هرغة سوس، على اسم بلده هناك عندهم في أي موضع هو فيه، فقالوا لي تأصيله من عندنا، من مدشر يقال له تِفْگَت. وله حصن عندنا في أعلى جبل يقال له إيگيليز. وديار وأثر قسبة مشهور عند الناس، وأحدق على ذلك من طرف الجبل بسور من حجر...». وقد اعتقد محمد المختار السوسي أن «إيگيليز» تحريف لي «إيگلي». وهذا غير صحيح، لأن المكانين موجودان في أرغن باسميهما. ثم إن كلمة «إيگيليز» توجد في أماكن أخرى غير هرغة ومراكش.

أما المكان الثاني، فهو جبل صغير منعزل (527م)، يقع شمال غرب مدينة مراكش، لعب دوراً هاماً في التاريخ العسكري للمدينة، حيث كان على الدوام نقطة ارتكاز كل الجيوش التي هاجمتها. كما أثر إلى حد ما في المجال العمراني للمدينة، إذ كان يكون المصدر الوحيد القريب لأحجار البناء. ومنه اقتلع المرابطون مادة بناء قصر الحجر. وأعطى اسمه لأول حي عصري بالمدينة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الجبل كان كذلك خلوة الأولياء  
أمثال محمد ابن تميم الزناتي وأبي العباس السبتي وغيرهما .

### المراجع :

- أبو بكر الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة  
الموحدين، تحقيق وترجمة ليثي بروفانصال، باريس، 1928، ص. 30، 40، 72،  
وغيرها من النص، وص. 45 تعليق 3، 60 تعليق 2، 116، 217 وغيرها من  
الترجمة. انظر كذلك ص. 102-103 من النص، وص. 168 تعليق 2، 171، 173 .
- ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي،  
تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، 1984، ص. 149، 395، 459 .
- عبدالله ابن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد...، تحقيق علي  
صدقي، (كلية الآداب الرباط)، 1988، ص. 243 .

- Ch. Foucauld, **Dictionnaire Touareg - Français**, Imprimerie Nationale  
de France, 1951, T. I, p. 428-429.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**,  
Paris, 1942, pp. 117-118.
- Gaston Deverdun, **Marrakech des origines à 1912**, Rabat, 1959,  
pp. 4, 19, 53.

- محمد المختار السوسي، **خلال جزولة**، تطوان (بدون تاريخ)، ج. 4، ص. 166، وما بعدها.

وقد وردت إشارات إلى «إيگليز» في مصادر أخرى كنزهة المشتاق للإدريسي، **والاستبصار لمجهول**، **والذخيرة السنية** وروض القرطاس لابن أبي زرع و**حوز مراكش** لياسكون...

## إيميلشيل

«إيميلشيل» التي تعني على ما يظهر باب شراء الحبوب «إيمي - ن - لَشِيل» إذا اعتبرنا أن كلمة «لَشِيل» (= لَكِيل) هو شراء ما يحتاج إليه من الحبوب. هي اسم قرية جبلية تقع في موطن المجموعة البشرية المعروفة باسم «أَيْتْ حَدِيدُو». وهؤلاء تقع أراضيهم في الأطلس الكبير الشرقي، وسط المسافة الفاصلة بين تينغير جنوبا وخنيفرة شمالا. ومن جبالهم تتبع أهم روافد واد زيز وغريس وداس والعبيد. وبلادهم عبارة عن جبال كلكيرية أو كلسية ملتوية، وهي التي تعرف كذلك باسم هضبة البحيرات، وأشهر بحيراتها بحيرة إيسلي (=العريس) وبحيرة تيليت (= العروسة).

ينتمي أيت حديدو إلى الكونفيدرالية أو الاتحادية المعروفة باسم أَيْتْ يَافْلَمَانْ، ويجاورهم من الجنوب والشرق أَيْتْ مَرْعَادْ وأَيْتْ إيزدگ، ومن الغرب والشمال أَيْتْ سَخْمَانْ وإيشقيرن وأَيْتْ مَكِيلْدْ.

أهم أنشطتهم الاقتصادية هي تربية المواشي، والزراعة المسقية وهذه الأخيرة تقتصر على بعض الأراضي الصالحة المتوفرة على جنبات الأنهر في بطون الأودية.

ويبدو أن منطقتهم كانت ملقبة صيفيا لكثير من «القبائل» الجبلية المجاورة، وسكان الواحات الجنوبية، يرتادون هذه الهضاب العليا

بمواشيهم بحثا عن المراعي. وفي أوائل فصل الخريف ينعقد موسم كبير قرب إيميلشيل يتبادل فيه الناس بالبيع والشراء ما يحتاجون إليه من ضروريات العيش، وربما كانت الحبوب من أهم ما يتزود به الصحراويون بصفة خاصة.

وبهذا الموسم اشتهر إيميلشيل شهرة كبيرة، وخاصة في الوقت الحاضر. غير أن المبادلات التجارية والتنقلات الرعوية، ليست هي السبب الأول في اشتهاره داخل الوطن وخارجه، بل هو احتفاظ أَيْتٍ حَديْدٍ - من بين ما احتفظوا به من عادات وتقاليد متوغلة في القدم - بتقليد مجتمعي متميز هو الزواج الجماعي.

«أَكْدُوْدُ ن - إيسْلَان» أو «أَيْدُوْدُ ن إيسْلَان» هو الاسم الأمازيغي لهذا الموسم، أي ملتقى الخطيبات أو العرائس. وينعقد في آخر الصيف من كل سنة، بالقرب من ضريح سيدي أحمد أولمغني الواقع بتراب أَيْتٍ أَمْرٍ على ضفة أسيف مَلُوْلُنْ أو النهر الأبيض. وفيه يتعارف الراغبون في الزواج من الجنسين. وإذا تم الاتفاق والتراضي يتواعدون وتتم المراسيم المعروفة، من عقد وعرس... في شهر أكتوبر.

إن أهم ما يميز هذه الظاهر، هو أنها تتاسب إلى حد كبير نمط عيش مجتمع تتحكم في حياته الدورة السنوية الطبيعية أكثر من غيره، وتتكامل فيها هذا على هذا المستوى حياة سكان منطقتين مختلفتين من حيث التضاريس والمناخ، ولكنهما متشابهتان من حيث تأثيرهما على السكان: منطقة صحراوية أو شبه صحراوية، بمناخها المعروف وأنماط عيش سكانها... ومنطقة جبلية باردة شتاء، بمنزلة وسط كتل عريضة من الأراضي المرتفعة، يلفها السكون طيلة فصل البرد الجبلي القاسي،

فهي بالتالي مناسبة مثلى وضرورة يتزود فيها الإنسان في جو احتفالي متفتح بما يساعده على تجاوز فترة الركود والقلّة في انتظار معانقة الربيع والصيف، حين ينجلي الصقيع من جديد عن بحيرتي إيسلي وتيسليت.

### المراجع :

- E. Laoust, **Cours de Berbère marocain. Dialecte du Maroc Central**, Paris 1928, pp. 122, 302.
- E. Corjon, «Le mariage collectif dans les tribus berbères du Maroc central», In. **Bulletin de l'enseignement public au Maroc**, n°119, Mars 1932, 19<sup>e</sup> année, pp. 116 sqq.
- Mâati ben Bakkal, «Le mariage chez les Aït Hadiddou», Académie des Sciences Coloniales, Séance du 21 Juin 1946, pp. 275-298.
- G-H. Bousquet, **Le Droit coutumier des Aït Hadiddou des Assif Melloul et Isselaten** (confédération des Aït Yafelmane), in. A.I.E.C. Tome XIV, 1956, pp. 113-229.

## بُحَيْرَة

صيغة التصغير لكلمة بُحَيْرَة التي تعني من بين ما تعني: الروضة العظيمة. والبُحَيْرَة عند العرب الجاهلية تعني الناقة أو النعجة الطليقة أو السائبة المحرم أكل لحمها، وتعرف بإذنها المشقوقة.

يتداول المغاربة هذه الكلمة بصيغتين<sup>(1)</sup> لُبْحَرَج. لُبْحَايِر<sup>(2)</sup> تَبْحَرَتْ أو تَبْحَرَتْ ج. تَبْحِرْنَ أو إِبْحِرْنَ. وفي هذه الحالة السهول المتصلة أو البستان المغروس بأشجار مختلفة أو بنوع واحد منها كالزيتون، أو المخصص للخضر وأنواع البطيخ وفواكه أخرى أو المحتوى على كل ذلك في آن واحد. كما تطلق كذلك على الحقول المسقية، المبنية على شكل مدرجات على جوانب الأودية الجبلية في الأطلس الكبير الغربي. فهي إذن مختلفة من حيث المساحة كذلك، ولكنها غالباً ما تكون مسورة أو مسيجة بطريقة أو بأخرى.

ويبدو أن أهم ما يميز لُبْحَرَج عن أكدال، هو أن هذا الأخير كان في الأصل على الأقل ملكية جماعية أو خاضعة لقانون الجماعة، في حين كانت الأولى منذ البداية ملكية خاصة، يتصرف مالکها كما يشاء.

تحدثت المصادر التاريخية عن هذا النوع من البساتين في مراكش وضواحيه بصفة خاصة. وكانت تعرف باسم لُبْحَرَج أو تَبْحَرَتْ منذ عهد المرابطين. وهذا يجعلنا نتساءل عن الأسباب الموضوعية

التي أدت إلى استعمال كلمة "البحيرة" العربية الأصل على ما يظهر، بدل كلمة **تورثيت** التي تعتبر أقدم منها، خصوصاً في بلد مصمودة المتمرسين بفنون الفلاحة والزراعة منذ أقدم العصور، وفي زمن كزمن المرابطين الذي كانت فيه العربية غير مستعملة إلا لدى قلة قليلة من المتعلمين.

وذكر الإدريسي في وصف إفريقيا من نزهة المشتاق (ص. 43-44)، أن رجلاً اسمه «عبيد الله بن يونس المهندس جاء إلى مراکش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد». وأضاف بأنه هو الذي أوصل المياه الجوفية من قدم الجبل إلى مراکش بطريقة الخطارات. «ثم إن الناس نظروا إلى ذلك ولم يزالوا يحفرون الأرض، ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات واتصلت بذلك عمارات مراکش وحسن قطرها ومنظرها».

وإذا صح ما أخبر به الإدريسي، فإن ابن يونس هذا، قد يكون الذي أطلق اسم «البحيرة» على بساتين مراکش، إذا افترضنا أنه جاء من الأندلس.. وهو المرجح. وبقيت متداولة في أفواه الناس، بجانب كلمات أخرى مثل: **جَنَانَات**، **لُعْرَاصِي**، **إِكَرَان**، **تورثيتين**...

وهكذا أصبحت مراکش في عهد الموحيدين بصفة خاصة بلد «البحائر» بكل معنى الكلمة، سواء بداخل السور أو خارجه. ففي كتاب الاسبتيصار مثلاً نقرأ ما يلي: «وحولها [مراكش] البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمتها، ما لا يحصى كثرة»، و«غرس [عبد المومن بن علي] بحيرة عظيمة بغرب المدينة [مراكش] قبَل نفيس دورها سته أميال، وبني فيها وخارجها صهريجين عظيمين...». وهذه الأخيرة هي

ما يعرف اليوم بجنان المنارة. «وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب رضه بحائر مثلها في الغرس بل أجمل...» (ص. 209-210) والجدير بالذكر أن حي القصبه الآن، الذي بنيت فيه **تامرا كشت** الموحدية، كان قبل ذلك عبارة عن بحائر اتسعت على أرضها المدينة.

غير أن كل الدلائل سواء منها التاريخية أو الحالية تشير إلى أن بحائر مراكش الواقعة خارج السور، تجمعت بصفة خاصة في شرق المدينة، على طول الضفة اليمنى لواد إيسيل. وهناك توجد حسب كتاب التشوف بحيرة الصفصفا وبحيرة الرقائق (ص. 243، 245، 456).

وكانت لبني أمغار إخوة ابن تومرت بحيرة بباب الدباغين (البيذق، ص. 118) ومعلوم أن هذه البحائر انتشرت فيما بعد في الجهة الشمالية من المدينة ما بين السور ونهر تانسيفت، وبقيت كذلك إلى وقت قريب حيث تحولت في غالبيتها إلى أحياء سكنية.

وفي الجهة الشرقية من مراكش وقعت أولى المعارك الكبرى التي تصادم فيها جيش المرابطين مع أنصار الإمام محمد بن تومرت. وهذه المعركة هي التي أصبحت تنسب إلى البحيرة.

«غزوة البحيرة» اشتهرت كلمة البحيرة بالمعركة التاريخية التي تنسب إليها: «غزوة البحيرة» كما يسميها البيذق أو «وقعة البحيرة» عند ابن الخطيب، والتي دارت وقائعها بين المرابطين وجند ابن تومرت عام 324هـ/1129-30م بضاحية مراكش بقيادة عبدالله بن محسن الوانشرسي المعروف بالبشير. لم تدم المعركة إلا يوماً واحداً وانتهت بسحق الموحدين. هذه المعركة كانت حاسمة وفاصلة بين مرحلتين من مراحل الصراع المرابطي-الموحدي. فقد وقعت في نفس السنة التي

توفي فيها الإمام ابن تومرت، حيث لم يتأخر عنها إلا بيضعة أشهر. وكانت أولى المعارك الكبرى التي التقى فيها المرابطون والموحدون بسهل مراكش العاصمة. وفيها قتلت جماعة من أصحاب المهدي المقربين وعلى رأسهم عبدالله بن محسن الوانشرسي البشير، وابن تاعضمت (سليمان أحضري)، وموسى بن تمارى الكدميوي وغيرهم. ثم إنها وقعت مباشرة بعد التمييز الكبير الذي شمل صفوف الموحدين بأمر من ابن تومرت وعلى يد البشير وقائد الحملة هذا التمييز بين الموحدين والمخالفين أو المنافقين دام أربعين يوماً، وذهب ضحيته عدد كبير من المصامدة (البيدق، ص. 78). ولا شك أن لهذا أثراً كبيراً فيما انتهت به المعركة من هزيمة الموحدين. وقد كانت هذه المعركة حدثاً فاصلاً بين مرحلة الغزوات الموحدية الصغيرة داخل جبال درن مع بضع المناوشات ضد فرق من جيش المرابطين على السفوح الأطلسية، في عهد ابن تومرت وخلال السنوات الأولى من تولية عبدالمومن. وبين مرحلة الزحف الموحدى الشامل عبر المسالك الجبلية في اتجاه الشمال الشرقي والغربي. والذي انتهى باستيلاء الموحدين على المغرب (بيدق، ص. 88 وما بعدها).

هذه المعركة وقعت قرب إحدى هذه البحائر بشرق مدينة مراكش بدليل ما قاله البيدق «... وكان التمييز أربعين يوماً في آخرها كان الخروج إلى غزوة البحيرة بظاهر مراكش، وذلك في عام أربعة وعشرين وخمسائة، وكنا معه في اليوم الذي غاب فيه جلوسا عند باب البحيرة عند البرج وكان يعظ ويحذر...» (ص. 28) وهذا يستبعد أن تكون قد وقعت في البسيط المعروف باسم البحيرة الموجود شمال مراكش وراء جبيلات، والذي أطلق عليه هذا الاسم في زمن متأخر على ما يظهر.

ومعلوم أن عبدالمومن بن علي اتخذ البحيرة معسكرا لجنوده حين حصاره لمراكش قبيل استيلائه عليها بصفة نهائية. فبعد أن هزم الموحدون بقية جيش المرابطين بضاحية مراكش، جهة باب دكالة «انتقلت المحلة الموحدية إلى دار الفتح وسط البحيرة في صدر شوال من سنة احدى وأربعين [وخمسمائة]، فلم تزل هناك، وأمر المدينة في كل يوم يزيد ضعفا وأحوالها ترق إلى أن كان يوم السبت السابع عشر من شوال ففتحت مراكش ودخلها الموحدون» (ابن عذارى، ج. III. من البيان -ميراندا، ص. 23-24).

ويبدو أن عبدالمومن اعتبر البحيرة دار الفتح تحليدا للذكرى المعركة الأولى التي انهزموا فيها أمام المرابطين قبل سبع سنوات مضت.

### المصادر:

- البيهقي، أخبار المهدي (1928)، ص. 28-78-79 وغيرها.
- ابن الزيات، التشوف، تحقيق أحمد التوفيق (1984) ص. 243، 245، 317، 456، 592.
- الحميري، الروض المعطار، تحقيق احسان عباس (1984)، ص. 540.
- الناصري، استقصا، ج. II، (1954، ص. 87).
- محمد شفيق، المعجم العربي-الأمازيغي، (1990)، ص. 169.

- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، الدار البيضاء، 1985، ص. 209.
- E. Destaing, **Vocabulaire français -Berbère.** (1920), p. 160-161.
- E. Laoust, **Mots et choses Berbères,** (1920),p. 409.
- E. Levi Provençal, **Documents inédits d'Histoire almohde** (1928), p.232-233 et passim.
- J. Berque, «Un glossaire Arabo-Chleuh du Deren» (XVIII<sup>e</sup> s), in **Revue africaine,** t. XXIV, 3<sup>e</sup> - 4<sup>e</sup> trim., 1950, p. 365-368.
- R. Dozy, **Supplément aux dictionnaires arabes,** (1968), t. I, p. 83-54.
- **Encyclopédie de l'Islam,** (1975), t.I, p. 949-950.
- P. Pascon, **Le Haouz de Marrakech,** (1977), t. I. p.211, n° 75.

## تَسَافَتْ

«تَسَافَتْ» كلمة أمازيغية تعني «شجر البلوط» الذي ينتشر كثيراً في جبال الأطلس والريف. وتوجد «تَسَافَتْ» كاسم علم جغرافي في وادي نفيس بأطلس مراكش، وقد تسمت بها مجموعة من القرى توجد كلها على ضفاف نهر صغير يحمل نفس الاسم، ينبع من السفح الشمالي لجبل ويشدّان الممتد بين وادي نفيس وبلاد ءُونَايْن، ويصب في نهر نفيس غير بعيد عن موقع مدينة تينمل الموحدية.

ومن أهم قرى «تَسَافَتْ» نذكر: أَعْبَارَانْ وَتَاكَادِيرْتَنْ - ءَوْمِيُوسْ وَتَارْكََا أَوْزْرُوْ وَأَكْنِي وَالزَاوِيْت. وفي هذه الأخيرة بنيت زاوية تاسافت.

وقد أسست هذه الزاوية سنة 1007هـ/1598م على يد الشيخ سيدي أحمد بن محمد الإفراني، والذي يسميه السكان سيدي حَمَادْ أَوْمَحْنَدْ، وقد تلقى الطريقة من الشيخ أبي القاسم بن عبدالرزاق الذي كانت له زاوية بالقرب من تامگروت بوادي درعة.

وقد ذكر المختار السوسي (معسول ج. 12، ص. 54)، أن الشيخ المؤسس لزاوية تاسافت كان واحدا من أصحاب الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى دفين تازروالت بالأطلس الصغير.

بقيت زاوية تاسافت خلال القرن السابع عشر جاثمة في ظلال التاريخ غير المكتوب إلى القرن الثامن عشر حيث كتب أحد حفدة شيخها كتابا سماه «رحلة الوالد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأبال بإذن الواحد»، سرد فيه أخبار محنة أبيه وعائلته وسكان وادي نفيس بصفة عامة مع باشا مراكش آنذاك عبدالكريم بن منصور التكني والي السلطان مولاي اسماعيل على جنوب البلاد.

ومن خلال هذا السرد تعرفنا على زاوية تاسافت ورجالها، كما تعرفنا من خلاله على جوانب هامة من تاريخ سكان المنطقة، سواء على مستوى علاقاتهم الداخلية أو على مستوى علاقاتهم مع المخزن والسلطة المركزية بصفة عامة.

وقد هدم المخزن زاوية تاسافت وأضرم فيها النار في صيف عام 1715، حين تمكنت «حركة» باشا مراكش عبدالكريم بن منصور من الدخول إلى وادي نفيس عن طريق ارزازات وأيت وأوزكيت وأونايين أي من جهة شرق الوادي.

ورغم أنها أعيد بناؤها، فإن أهميتها كمؤسسة دينية بارزة في المنطقة نقصت كثيراً منذ ذلك الوقت إلى الآن. خصوصا وأن وادي نفيس عرف منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر اندماجا تدريجيا في النظام المخزني بواسطة القيادة الكندافية، وانتهى به بذلك نظام «إينمغارن» أو الشيوخ الذي كانت فيه الزاوية مؤسسة دينية مستقلة ومحيدة - مبدئيا على الأقل - لها اعتبار معنوي تنسحب فوائده على الزاوية وأهلها وعلى سكان المنطقة به عامة.

### المراجع :

- صدقي علي أزايكو، زاوية تاسافت، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس عشر، الرياض، 1991، ص. 71-107.
- عبدالله بن ابراهيم التاسافتي، رحلة الوافد...، تحقيق صدقي علي أزايكو (تحت الطبع).
- لحظات من تاريخ أدرارن - درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري/18 الميلادي، تحقيق علي صدقي أزايكو، منشورات كلية الآداب- القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق: رقم 1، 1992.

## تَاكُنْتَاَفْتُ

«تَاكُنْتَاَفْتُ» كلمة أمازيغية مركبة من «أكُّ» ومعناها أن يكون الشيء فوق شيء آخر أو أعلى منه أو مشرفاً عليه، كما تعنى مجازاً المراقبة والحراسة. ومن «ضَافٌ» ومعناها كذلك الحراسة والمراقبة. وبين الكلمتين «نٌ» الإضافة وبها تصبح الكلمة على الشكل التالي: «أكُّ - نٌ - ضَافٌ» التي تعنى حرفياً «المكان المشرف والمستعمل للمراقبة والحراسة». ثم أضيفت للكلمة المركبة «أَكُنْضَافٌ» «تاء» التأنيث أو التصغير أو الإشارة، فأصبحت «تَاكُنْضَافْتُ» وانقلبت «الضاد» في الاستعمال الشفوي إلى «دال» فنطقها الناس «تَاكُنْدَاَفْتُ» أو إلى «تاء» فنطقوا بها «تَاكُنْتَاَفْتُ».

ويبدو أن الكلمة دخلت في تكوين أسماء الأعلام البشرية والجغرافية منذ القدم. وهكذا نلاحظ أن البيذق ذكر اسم شخص من مكناس اسمه «يحيى ابن كنداف»، ولاشك أن أصل «كنداف» هذا هو «أكُنْدَافٌ». إذا اعتبرنا أن شعوب زناتة بصفة عامة يحذفون عادة في نطقهم الهمزة التي تكون في أول الاسم.

كما ذكر القبيلة السوسية المعروفة إلى اليوم «بنو ونيطيف» والتي تسمى اليوم «إيدَاكِنِيْضِيْفٌ».

غير أن الكلمة بصيغة «تَاكَنْتَافَتْ» وجمعها «تَيْكَنْتَافِين» لا توجد على ما يبدو إلا في وادي نفيس بأطلس مركش، وأيت مالا قرب تَافِينكُولْتْ جنوب تيزي نْ - تَاسْتْ.

وقد اشتهرت «تَاكَنْتَافَتْ» النفيسية لأنها انتسبت إليها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر عائلة أيت لحسن التي ينتمي إليها واحد من أكبر قواد الأطلس المراكشي هو الحاج الطيب الكنتافي نسبة إلى «تَاكَنْتَافَتْ».

كانت كلمة «تَاكَنْتَافَتْ» تطلق أصلا على مجموعة من القرى الصغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس إلى الجنوب من تينمل الموحدية بين تَاسَافَتْ شرقاً ومُولْدِيخَتْ غرباً. وتحمل أسماء مختلفة هي: أَرْتَايَايْنْ وإِسْتَقَالْنْ وكُوكْتَنْ وويكَيْتْ، وإلى هذه الأخيرة ينتمي مؤسس أسرة إيكَنْتَافَنْ أو كندافة التي حكمت وادي نفيس وبعض المناطق المجاورة له مدة تقرب من مائة سنة، حتى أن اسم المنطقة تغير وأصبحت تسمى «كندافة» أو «قبيلة كندافة»، مع أن سكان وادي نفيس لا يجمعهم اسميا إلا انتماؤهم الجغرافي لمنطقتهم، وإلا فكل مجموعة من المجموعات البشرية المتساكنة فيه تحمل اسمها الخاص بها.

وإذا كان قوقع قرى «تَاكَنْتَافَتْ» مشرفا فعلا ويسمح بمراقبة المسلك الجبلي الذي مراکش وسوس عن طريق وادي نفيس وتيزي نْ - تَاسْتْ، والذي يعتبر طريقا هاما ومطروقا منذ القدم، فإن «أكادير نْ - تَكَنْتَافَتْ» أو قسبة «تَاكَنْتَافَتْ» التي بنيت حوالي عام 1870، غير بعيد عن القرى المذكورة، تعتبر فعلا برجاً للمراقبة يجسد القوة

الصاعدة للعائلي الكندافية التي أسسته ليكون حصنها الحصين  
وملجأها الذي تحتمي به من الأخطار.

«**تَاكَنْتَافْتْ**» الحصن أو أكادير رمز السلطة الكندافية في  
عهد محمد نايت لحسن المؤسس وابنه الحاج الطيب الكندافي بصفة  
خاصة، ليست اليوم إلا أطلالا مهجورة تشهد على ماض يتأسف البعض  
لزواله ويستهزئ البعض بآثاره؛ جل هؤلاء، من سكان وادي نفيس، لا  
يعرفون اليوم عن «**تَاكَنْتَافْتْ**» إلا ما سمعوه عنها من خلال الحكايات  
المتأسفة أو المستهزئة، لأنهم لم يكونوا كندافيين بالجملة ويستقلون  
طرا كل سلطة.

#### المراجع :

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, 1951, t.I, p. 381-382.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p.72.
- E. Lévi - Provençal, **Documents Inédits d'Histoire Almohade**. Paris, 1928, texte, p.66, 37.
- E. Destaing, **Vocabulaire Français-Berbère**, Paris, 1920, p. 270, 290,139.
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 276, 277, 301, sqq.
- C. Justinard, **Un Grand Chef Berbère, Le Caïd Goundafi**, Casablanca, 1951, pp. 38, 51, 55, et passim.

## تَالْكَجُونْتْ

«تَالْكَجُونْتْ» بكاف معقودة أو بكاف عادية اسم يطلق على مجموعة من القرى تقع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي شرق مدينة تارودانت، ما بين مركزي تافينكولت وأيت برّحيل. ويقع جل قرى «تَالْكَجُونْتْ» على أحد روافد الضفة اليمنى لنهر سوس، المعروف باسم أسيف نْ- تَالْكَجُونْتْ الذي ينبع من الجدار الجنوبي والجنوبي الغربي من الكتلة الجبلية تيشكا.

أهم قرى «تَالْكَجُونْتْ» إِنْضْرْمَاسْ، إِيْكَرْنْ- أَوْفْلَا، إِيْدَاوْبَلَالْ، تَالَاتْنْ- حَفِي... وتحيط بها المجموعات البشرية التالية: تاوينخت وإيفوزان، وإيدَاوْكَائِسْ، وإِيْكَضَاشْنْ، وأيتْ يُوْسْ، وَأَزَازْنْ، وَتَالَامْتْ...

تعتبر «تَالْكَجُونْتْ» من المواقع الجميلة في المنطقة نظراً لخصب تربتها ووفرة مياهنا، وقد عرف سكانها كيف يستغلون هذه المعطيات، فجعلوا من الأراضي المجاورة لمجرى النهر جنات متصلة من أشجار الزيتون واللوز والتين وغيرها، ومزارع للقمح والشعير والذرة وأنواع الخضر... وبنوا للنحل ولمختلف الحيوانات الأليفة... كل هذا أنجز وسط غابة كبيرة محيطة من شجر أركان الخالد الذي تشتهر المنطقة بإنتاج أحسن زيت منه، كما تشتهر بعسلها المعطر.

وينتمي سكان تَالْجُؤُنْتِ حسب ما ورد عند روبير مونتاني وجان دريش إلى لَفِّ إيداوَزْدَاغِ الذي يقابله في المنطقة لف أيت زُولِيَطِ، ونتيجة للصراع الدائم بين هذين اللذين برزت سلطة أيت بَازِي بتالْجُؤُنْتِ منذ منتصف القرن التاسع عشر، واحتفظت أسرة أيت بَازِي بالمشيخة (إمغَارَن) ثم بالقيادة (لقيام) منذ ذلك الوقت إلى نهاية فترة الحماية، وكان المرحوم القائد الحاج لحسن بَازِي آخر قائد منها.

#### المراجع |

- معلومات شخصية.
- خرائط جان دريش.
- البربر والمخزن لروبير مونتاني.

## تَامَازِيرْتْ

«تَامَازِيرْتْ» وتجمع على «تِيمِيَزَارْ»، كلمة أمازيغية تعني بهذه الصيغة الأرض والحقول والمخيم والمقام والموطن والوطن. هذه المعاني ترد كلا أو بعضاً عند ذكر الكلمة حسب المناطق وحسب السياق.

غير أن المعنى الغالب اليوم في القسم الجنوبي من المجال الأمازيغي المغربي هو معنى الموطن بالمعنى المحدود أو الوطن بالمعنى الواسع. والذي تقابله في مناطق أمازيغية أخرى كلمة «تَامُورْتْ».

وإذا استعملت الكلمة بصيغة المذكر: «أَمَازِيرْ» فإنها تعني السماد الحيواني أي ما يسمى في كلامنا الدارج «لُغْبَار» وهو الدَّمَالْ.

وهكذا نلاحظ أن الكلمة شديدة الارتباط بالأرض والحيوان وتترجم العلاقة بينهما وتجسم أهمية هذه العلاقة بالنسبة إلى الإنسان المزارع.

وقد استعملت الكلمة بصيغة المفرد أو الجمع أسماء أعلام جغرافية في الأطلس الكبير الغربي وبصفة خاصة. وفي هذه الحالة غالباً ما تعني الحقول أو المزارع.

## المراجع :

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire...**, T. II, p. 638.
- E. Laoust, **Contribution...**, p.68.
- Id. **Mots et choses...**, p.2, n° 2.
- E. Destaing, **Vocabulaire ...**, p.215, 137.
- J. Berque, **Structure...**, p. 356, n°1.
- محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، الجزء الأول، الرياض، 1990، ص. 174-179.

## تَاوِينْخَتْ

«تَاوِينْخَتْ» أو «تَاوِينْغَتْ»، كلمة أمازيغية تطلق اسما على شُجيرة مشوكة تنبت في المناطق الجافة، وهي التي يسميها لاووست Aubépine saharienne.

تستعمل قشرة أغصان هذه الشجيرة في دبغ الجلود وتلوينها باللون الأحمر. وهي معروفة بنفس الاسم في منطقة درعة وتافيلالت وأيت وَأَوْزْگَيْتْ وسوس الأعلى والأطلس الصغير وفي جبال الأوراس على ما يبدو، وربما في مناطق أخرى.

ويغلب على الظن أن الكلمة من «وين» ومعناها الذي يصلح لكذا أو الذي يستعمل في كذا... و«أَغَيْتْ» وتعني الجلد أمتين الذي يصلح لصناعة الأحذية.

كما يمكن أن تكون قد أخذت من كلمة «أويناغ» التي تعني عند الحيوانات العيون ذات اللون الأسود والرمادي الفاتح.

ولعل نوارة الشجيرة المشوكة المشار إليها أعلاه تشبه في لونها العيون التي توفر فيها الشروط المذكورة. فسميت شجرتها باسم المشبه به بعد تأنيثه.

استعملت كلمة «تَاوِينْخَتْ» كاسم علم جغرافي، حسب ما نعلم، في جنوب شرق تَارْنَاخَتْ حيث توجد قرية تحمل اسم «تَاوِينْخَتْ» عند

أيت حَامِيدِي. وفي جنوب شرق بُويزَاكَارُنْ حيث يوجد جبل «تَاوِينْخَتْ».  
 كما توجد في أيت سَمْغ الذين يسكنون السفوح الجنوبية لجبل  
 تِيْزِي نْ- تَاسَتْ حَوَالِي مركزكم الإداري تافينكولت. غير أن  
 «تَاوِينْخَتْ» هنا تطلق اسما على مجموعة من القرى متقاربة الموقع،  
 وكل واحدة منها تحمل اسمها الخاص وهي بالتوالي: فِرْنَاطْ، وإيْكَرَانْ،  
 وَأَزْرُو، أَكَادِيرْن- أُوْمَنْزِيلْ.

وترجع أهمية «تَاوِينْخَتْ» إلى موقعها الجغرافي الذي يمكن من  
 مراقبة الطرق المؤدية إلى جبل إيدوزدَاغ انطلاقا من سهل سوس  
 الأعلى. فهو إذن يعتبر صلة وصل ضرورية بين السهل الذي كثيرا ما  
 تطرقه الجيوش المخزنية المتمركزة في تارودانت التي لا تبعد عن  
 الموقع المذكور إلا بحوالي ستين كيلومترا. وبين جبل إيدَاوْمَسَاطُوْغ  
 وإيدَاوْزْدَاغ الذين لا تطأ جنود المخزن بلدهم إلا نادرا.

ففي أوائل القرن الثامن عشر حينما حاصر باشا مراکش جبال  
 إيدَاوْزْدَاغ انهزمت جيوشه إلى تَاوِينْخَتْ، وبقيت في المنطقة أن اضطر  
 مصالحتهم مقابل أداء ضريبة رمزية فأدوها ورحل عنهم دون خضوع  
 فعلي.

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين كانت منطقة  
 تَاوِينْخَتْ محل صراع بين القائد الكنتافي الذي كان يحاول بسط نفوذه  
 على سوس الأعلى، وبين قائد تَالْكَجُونْتْ المجاورة الذي ينتمي إلى  
 عائلة أَيْتْ بَايِّي.

وهكذا نلاحظ أن «تَاوِينْخَتْ» عرفت زيادة عن الصراعات  
 المحلية، صراعات أخرى تنحو بها انتماءات سياسية تربطها أكثر  
 بالسهل ليتراجع المجال الجبلي بأنظمته نحو القمم.

## المراجع:

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, 1951, t. II, pp. 143 sqq. t. IV, p.1788.
  - E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p.101.
  - Id., **Mots et choses berbères**, 1920, pp. 478, 490.
  - R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 279, sq., 317-318.
- عبدالله بن ابراهيم التاساوتي، رحلة الوافد....، تحقيق صدقي علي وَازايكو، ص. 134 ( كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط).

## تُوبُكَالُ

«تُوبُكَالُ»: كثيرة هي أسماء الأعلام المغربية التي تحتفظ بسر معناها في أعماق سر التاريخ. وتكتم كل شيء عمن أطلق الاسم وأجراه، ويجيء الاستعمال الممتد على مدى قرون ليدخل تعديلات شتى على الكلمة (النحت أو تغيير أماكن الحروف داخل الكلمة أو إبدال حرف بحرف آخر...) فيبعدها التداول عن مفاتيح الفهم وتبقى علما خارج الذاكرة يتعدى كل تأويل أو تصنيف.

ومن هذا النوع من الأسماء «تُوبُكَالُ» الذي يطلق على أعلى قمة جبلية في المغرب (4165 م). في مثل هذه الحالة لا يملك الباحث إلا أن يترصد القرابة المحتملة بين الكلمات ويقترح الفرضيات الممكنة.

يوجد فعل «إِيكْبَلُ» الذي يمكن أن ينطق كذلك «إِيكْبَلُ» الذي يمكن أن ينطق كذلك «إِيكْبَلُ» ومنه «إِيكْبَلُ» التي يمكن أن تنطق كذلك «تِيكَالُ»، وتعني كلمات هذه المادة: المساندة والدعم والتقوية... ماديا ومعنويا، إيجابيا وسلبيا.

وتوجد كلمة «إِيكْبَالُ» وتعني القمة المنيية أو الجبل المنذب القمة أو القمم.

ويبدو لي أن كلمة «تُوبُكَالُ» لها علاقة بالكلمات المذكورة سواء من حيث الشكل أو المضمون تقع قمة «تُوبُكَالُ» ضمن كتلة جبلية

شامخة وسط الأطلس الكبير أو جبل «دَرَنْ» والتي تتميز عن منافستها في الغرب: كتلة تيشكا بواسطة وادي نهر نفيس، وعن منافستها في جهة الشرق: كتلة إيغيل -ن- مَكُون بواسطة وادي نهر غَدَات ووادي نهر أُونِيل. وتشرف على ثلاثة أقاليم تاريخية كبيرة هي: حوض درعة وحوض سوس وحوض تانسيفت.

وهكذا تبدو كمحور هائل تسيل منه المياه في كل اتجاه وتسقي الأراضي المنخفضة، ويدور حوله الإنسان ويزرع تلك الأراضي باستمرار، كل هذا يجري في هدوء يليق بهيبة عُلَى الأطلس.

أما المجموعات البشرية المجاورة لـ «تُوبْكَال»، فهي أيتّ وأوْزْكِيت من جهة الجنوب والشرق والغرب، وإيُورِيكَنْ (أوريكة) وإيغِيغَايَنْ (غيغاية) وإيمْسِيوَانْ (مسيوة)، من الشمال جهة مراكش ويكفي أن نذكر بدور إينْتَانْ (هنتاتة) في تاريخ المغرب ليتأكد المرء بأن كتلة «تُوبْكَال» لم تكن حاجزاً يثبط حركة التاريخ.

### المراجع :

- Ch. Foucauld, Dictionnaire, II, p. 729-30-31.
- Collectif, Géographie du Maroc, (1964), pp. 130, sqq.
- J. Dresch et autres, Le massif du Toubkal, 2<sup>e</sup>, ed., 1942, pp. 185, sqq. et passim.

## تَيْنَمَلْ

اسم قرية صغيرة تقع وسط المجرى الجبلي لنهر نفيس أحد روافد نهر تانسيفت، وهي على بعد حوالي مائة كلم جنوب غرب مراكش، على الطريق التي ترتطها بتارودانت عبر الممر الجبلي تيزي - ن- تاسْت. وتبعد بضع كيلومترات فقط من المركز الإداري الحالي: تالات -ن- يعقوب، ومن زاوية تاسافت ومن قلاع القائد الكونتافي ومنازله. وبها بقايا مسجد تينمَلْ الموحدى الذي اهتمت بعض الشركات بترميمه في السنوات الأخيرة فقط.

لقد ارتبطت شهرة «تینمَلْ» بظهور زعيم الموحدين محمد بن تومرت وتكوين الدولة الموحدية، إذ كانت مركز انطلاق حركتهم ضد المرابطين وأصبحت، بعد تأسيس دولتهم ونزوحهم إلى عاصمتهم مراكش، مدينتهم المقدسة التي يحج إليها ملوكهم وأنصارهم باعتبارها رمز التأسيس وموطن ضرائح المؤسسين.

ورغم شهر تينمَلْ وكثرة ورودها في كتب التاريخ، فقد اختلف المؤرخون في شكل كتابتها: فقد كتبها البيدق «تینمَلْ» وكذا ابن القطان وابن خلدون، وكتبها الإدريسي «تَانمَلت» ويبدو أنه انفرد بكتابتها بهذا الشكل، وكتبها صاحب الحلال الموشية «تینمَال». وكتبها مؤلف كتاب الروض المعطار «تاملت».

أما ابن صاحب الصلاة، فقد كتبها مرة متصلة ومرة منفصلة على الشكل التالي : «تملل» أو «تين-ملل». وكتابتها على هذا النحو الأخير، جعل البعض يميل إلى الاعتقاد بأن الكلمة مركبة من «تين» و«أيميلال»، ومعناها: ذات المدرج. لأن كلمة «أماليل» وجمعها «إيميلال» تعني الجوانب المبنية من المدرجات الزراعية المعروفة في المناطق الجبلية. أن ابن عذارى، فقد كتبها هكذا: «تينمل» والنسبة إليها: التينملي، ونسب إليها صاحب التشوف بنفس الشكل، وكتبها مؤلف كتاب الاسبتصار «تينمل». وكتبها ليون الأفريقي «تينمل» بلام مشددة، وعلى هذا المنوال كتبها صاحب «رحلة الواقد»، وكذلك ينطقها سكان المنطقة حالياً.

واعتقد أن النطق الصحيح للكلمة هو «تينملاًل» وأنها ليست مركبة. بل هي كلمة واحدة وأن معناها هو المزار أو المحج والحرم والحرمة، وأن هذا المعنى كان لها من قبل لم تكتسبه بمجيء ابن تومرت إليها، لأن تينملاًل كانت موجودة قبل قيام الحركة الموحدية. فدورها كمكان مقدس تعقد فيه العقود والعهد بين القبائل المجاورة ربما كان بارزاً قبل القرن الثاني عشر بكثير، ولا يستبعد أن يكون دورها هذا من أهم الدوافع التي جعلت ابن تومرت يختارها لتكون نقطة انطلاق سعيه لتوحيد مصامدة جبل دَرْن.

كانت تينملاًل في وسط بلاد إيزميرن أو هزميرة الذين كانوا منتشرين في حوض نهر نفيس جبلاً وسهلاً ويبدو أن هؤلاء هم الذين استقدموا ابن تومرت إلى تينملاًل في بداية أمره، وقد روى ابن القطان قصة إيزميرن أو هزميرة مع ابن تومرت هكذا: «وقال في استيطان

الإمام المهدي رضي الله عنه لتَيَمَّلَ : أن أهل مدينة تَيَمَّلَ بعثوا رسلاً إلى الإمام المهدي رضي الله عنه يعلمونه بطاعة هزميرة الجبل وأن مجيئه وسكانه عندهم أصلح له وأقرب من تسامح الناس به، فرحل إليهم رضي الله عنه بجميع من أطاعه، وحصل بتيتمل وأكرمه أهلها، وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وباعوه، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدهم ما راقه، فكان يخرج إلى الشريعة ما خارجها ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة، فيعظ الناس، وكانت هزميرة يمسكون العدة، فقال لهم الإمام يوماً: ما لكم تمسكون العدة وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها؟ فاقاموا على ترك عدتهم زماناً، وقد كان الإمام رضي الله عنه خاف من جهتهم لكثرتهم ومنعتهم، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة، فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى رضي عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم بقتل منهم في ذلك اليوم نحو خمسة عشر ألفاً... وقتل من ذلك القبيل كل من حضر في ذلك اليوم بتتمل، وسبى حرمهم وغنمت أموالهم فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه، وأصفي ديارها جوائز جوائز لكل جائزة قبيلة ثم أدار على المدينة سورا أحاط بوهدتها، وبنى على رأس الجبل سورا، وأفرد في قبته حصناً يكشف ما وراء الجبل».

ومنذ هذه الحادثة التي يصعب الشك في وقوعها رغم الغلو المحتمل في عدد قتلى إيزميرن أو هزميرة، أصبح سكان وادي نفيس خليطاً من قبائل سوس التي ناصرت ابن تومرت منذ بداية أمره. بقيت تينمبال مدينة عامرة طيلة عهد الدولة الموحدية، متوفرة على مسجد

فريد من نوعه في المنطقة الجبلية، ذلك الذي بناه عبدالمومن بن علي بعد انتصار الموحدين على المرابطين. غير أنها تراجمت بعد تخريبها من قبل المرينيين في عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق عام 674هـ/1275م.

وقد أفادنا كتاب «رحلة الوافد» بجملة من المعلومات النادرة عن آثار مدينة تينمبال في القرن الثامن عشر، ومن ذلك أن مسجد تينمبال كان لا يزال مسجداً جامعاً. وكانت به خزانة من الكتب يرجع عهدها إلى العهد الموحي الأول (ص 60)، وأن سور المدينة كان يمتد جهة الشرق إلى فحص تاسافت أي على الضفة اليمنى لنهر نفيس (63)، وهذه مقتبسات ما كتب عن المدينة: «وكانت الدور متصلة البناء من ناحية المغرب إلى بلدة بن عثمان، وإلى وادي أُكْدَمَتْ، ومن ناحية الجوف إلى مشرق الاعتدال، إلى بلدة أُكْرَسَافَنْ فما فوق، وإلى تاسافت وبحيرة السلطان. ومازال الناس الآن يجدون أثر ذلك في البناء الدائر وقبور منسية دون المقبرة العظمى التي بإزاء السور هناك، ودرهم سكتهم [الموحدون] عند نزول الصب والمطر الوابل يجدونها مربعة (...). وهي مكتوب فيها الله ربنا محمد رسولنا والمهدي إمامنا، والوجه الثاني لا إله إلا الله الأمر كله لله، بخط (155) مرقوم حسن، قد شاهدناه، وتبرك الناس به وبعلاقته للأكابر والصبيان ويجعلونه في الأمتعة وأوعيتهم وأكياسهم.

وتعجبت من ذلك البناء الذي بسورها [تينمبال] من ناحية باب الرواح كأنه مبني هناك، وما بقي في المسجد بالأمس بنيان مرصوص متقون له أقف على مثله بفاس ومراكش والقاهرة المصرية (...). ولم يبق الآن من الديار بتينمل إلا نحو من ستين كانونا» (ص. 156).

«... وكان مسجد هناك بباب الرواح عند سور تينمل بخارج بابه مقبرة، ما زال الناس الآن يتبركون فيه ...» (ص. 158).

«... وأما دار الملك هناك، لم يظهر أثرها، لأن عدوهم حين سلطه الله عليهم، من ملوك بني مرين، بعد انصرام دولة الموحدين، خرب وادي نفيس كله، وهدم الديار على أربابها هناك تينمل. قد ذكر لي بعض من لقيته من أهل مدينة تينمل أنهم وجدوا في مدة الشيخ يحيى واكريم في دار فوق البلد دائرة عظام امرأة بازاء رحى ويبيدها سوار من النحاس الأصفر باق من ذلك الوقت إلى الآن...» (ص. 159).

«... وأول زيارتي لصالحي مدينة تينمل والورد على بابهم المنيف، كان عام إحدى عشر بعد المائة والآلف (1700م) ..» (173).

«... ولما أشرفنا على مدينة [أرسل معه أبوه أحد اتباع زاويته] من ناحية ثنية موضع يقال له أسقم، فيه هناك مقبرة قديمة، وزرنا من بها من الصالحين، واستقبلنا حينئذ المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة عند الطريق، وتوسلنا بصالحيها ومن فيها من العلماء العاملين وساداتنا الاشراف، وأراني موضعهم ومقبرتهم في أعلى المقبرة العظمى، وقبور الموحدين على يمين مصلى من ناحية الجبل، وفي وسطها بيت المرابطة يقال لها تَعْرَى بنت ناصر (... ) وأراني مسجد الامام ومنارة وبقية ديار تينمل وأجنتها الحسناء...».

«... ودخلت المسجد وتعجبت من حسنه ورونق صنعته، وله ستة أبواب، ثلاثة مفتوحة لشرق البلد ولناحية السور، وثلاثة أخرى مفتوحة لناحية غربها مما يلي ربوة البهوميين، وفيها أربع قبب في زواياها كلها،

في غاية الحسن والصنعة المتقنة (...). ولم يبق إلا [الصف] الأول صالحا مع قبتين الغربية والشرقية، واندرس غيرهما...» (174).

وفي عصر مؤلف الرحلة أشاع بعض الناس، خبر انحراف قبلة مسجد تينمل، فهجره المصلون مما ساعد بدون شك على تدهور بنيانه منذ ذلك الوقت.

### المصادر:

- كل كتب التاريخ التي تضم أخبار الموحدين تحدثت بشكل أو بآخر عن تينمل. وقد انفردت «رحلة الوافد» لعبدالله التاساقتي بإعطاء وصف مفصل عن المدينة ومسجدها في القرن الثامن عشر.
- وقد كتب عنها كذلك دارسون أوربيون مثل هانري تيراس في مجلة هسبيريس، ولاووست في كتابه عن الطوبونيميا في الأطلس الكبير.

## دَرْنٌ

النطق الأصلي هو "دَرْنٌ" بسكون الثلاثة. لا بفتح الأولين كمل أشاعته المصادر المكتوبة بالعربية. ويبدو أن هذا الاسم كان يطلق على ما يسمى اليوم بـ"الأطلس الكبير". ثم اختص بأعلى جزء منه وهو الواقع ما بين تيزي نْ-وماشُو وتيزي نْ-تَلَوَاتْ.

وكيفما كان الأمر، فهذا الاسم قديم. فقد ذكر Strabon و Pline من بعده أن الأمازيغ كانوا يطلقون هذا الاسم على الأطلس<sup>(1)</sup>.. وقد ورد الاسم في كتاب أخبار المهدي مرتين: "وقالا له يا فقيه وصلنا من درن من تينمل" ص. 57 من النص. "فطلعنا مع إيمي أن-الزات (إيمي نْ-زات) حتى وصلنا لدرن.. حثة وصلنا تيفنوت وتينمل" ص. 57 من النص. ومعنى هذا أن الأطلس في جزئه الواقع بين إيمي نْ-زات وتيفنوت وتينمل كان في عهد الموحدين يحمل اسم دَرْنٌ<sup>(2)</sup>. وهذا ما يفهم من كلام البكري أيضاً<sup>(3)</sup>. غير أن الإدريسي أدلى برأي آخر حين قال عن جبل درن: "ومبدؤه من البحر المحيط في أقصى السوس ويمر مع المشرق مستقيماً حتى يصل إلى جبل نفوسه..."<sup>(4)</sup>.

سنرى من خلال كتاب الرحلة أن «جبال درنة» اسم يطلق على نفس المنطقة مع بعض الامتداد في اتجاه الغرب بحيث يشمل جبال تيشكًا وايدأوزدًاغ. (قارن مع ما جاء في نزهة المشتاق) -الإدريسي، ص. 40.

أما فيما يتعلق بأصل الكلمة فقد أبدت فيه عدة فرضيات، يمكن لمن يريد التعرف عليها أن يراجع كتاب (E. Laoust) المذكور أعلاه على نفس الصفحات. وما دمنا في نطاق الفرضيات التقريبية والمؤقتة، لأن الأمر لا يكاد حدو ذلك. ما دامت اللغة الأمازيغية التي يتوقف عليها فهم الكثير مما به علاقة بتاريخنا لم تجمع وتدرس علمياً، فإننا نرى أن نضيف إليها أخرى لا تقل عنها إحياء وغنى:

من بين المواد التي أوردها الأب دوفوكو<sup>(5)</sup> في معجمه الفرنسي-التاركي مادة "ديران" وجمعها «دِيرَانَن» ومعناها: الأمنية، أو التوق إلى شيء غير متوفر. و«سَادَارَان» ومعناها: التمني الشبه الدائم. و«أَسَدَارَان» ومعناها: التمني. أو الإنسان الذي يتمنى دائماً شيئاً ما. وفي صفحتي 223 و227 من نفس الجزء من الكتاب المذكور أورد مادة «إِيدِر» ومعناها: حي. و«إِيمْسُودِر» ومعناها: التعايش، و«تَامْدُورْت» وجمعها «تِيمْدُورِين» ومعناها: كون الإنسان حياً أو الحياة. وتجاوزاً تعني: الغذاء الضروري للحياة، أو الغذاء اليومي. ومادة «أَدْر» ومعناها: الضغط بشدة على شيء أفقي من الأعلى إلى الأسفل. أو الإثقال الشديد على الشيء، أو الإنهاك والسحق.

سأكتفي هنا بالإشارة إلى هذه المواد دون التعليق عليها. ولكن العلاقة الشكلية على الأقل واضحة، كما أن العلاقة بين الحياة والغذاء والأمني وضغط الكتلة وبين جبال درن في هذه المنطقة علاقة بديهية.

### المصادر:

(1) أنظر :

- E. Laoust, **Contribution..** pp.20 sq

(2) أنظر :

- E. Lévi-Provençal, **Documents.**pp. 88 et 128

(3) أنظر بكري -المسالك، النص، ص. 147 و 160 و 161.

(4) أنظر الإدريسي- نزهة المشتاق، النص، ص. 40.

(5) Ch. de Foucauld, **Dictionnaire..** T.I., p.23.

## وادي نفيس

يكتبها الزرهوني في رحلة الوافد، وادي نفيس أو النفيس أو نفيسة أو نفيس. وهذا الاختلاف لا يعني وجود فرق في المعنى بين شكل وشكل، بل هو نتيجة عدم الاهتمام، والتأثر بما رآه في مقروءاته السابقة. وبالفضل، فإن المصادر القديمة لم تكتب كلمة «نفيس» على شكل واحد، وخصوصاً المتأخرة منها. ولكن مقارنة بسيطة بين شكل كتابتها عند كتابتها عند اليكري وابن القطان مثلاً، وبين رسم نطقها الحالي، تظهر لنا تقارباً كبيراً إن لم نقل تطابقاً تاماً.

نفيس<sup>(1)</sup>، أو واد نفيس<sup>(2)</sup>، أو أءآيت نفيس<sup>(3)</sup> أو أسيفن نفيس<sup>(4)</sup> (كما ينطقها السكان حالياً) وعن أصل الكلمة، يبدو أن أقرب افتراض إلى الحقيقة هو ربطها باسم المجموعات البشرية التي كانت تحتل منطقة تيشكا أو توشكا ونواحيها الغربية، أي «كنفيسة»<sup>(4)</sup> أو إين-كنفيس<sup>(5)</sup> وهذه الكلمة قد تكون مركبة من «گ،g» ومعناها: المنتسب إلى...، ونفيس. أو من «إيكي» ومعناها: فوق، أو الأجزاء العليا، أو المرتفع، ونفيس<sup>(6)</sup>.

ولكن نسبة هذه المجموعات إلى نفيس، أو كونها سكنت المنابع العليا لنهر نفيس، لا يحل مشكل أصل كلمة «نفيس»، بل مشكل «كنفيسة». لذلك يمكن اعتبار «إيكنفيسن» (كنفيسة) هي الأصل:

وان "نَفَيْسٌ" ترخيم لها، فبعد أن كانت «أَسَيْفٌ نٌ- وكنفيس، أو نٌ- كَنَفَيْسٌ» أصبحت أسيف نٌ-ونَفَيْسٌ أو نٌ-نَفَيْسٌ وهو النطق الحالي.

### المصادر:

- (1) البكري، المسالك، النص، ص 123 .
  - (2) ابن القطان، نظم الجمان، ص 90 .
  - (3) البيذق، أخبار المهدي، النص، ص 43 .
  - (4) أنظر البيذق، أخبار المهدي، النص، ص 43 .
  - (5) البيذق، أخبار المهدي، النص، ص 72 .
  - (6) أنظر:
- E. Laoust, **Contribution**, p.50 .
  - H. Basset, et Henri Terrasse, «**Sanctuaires et forteresses almohades**», in **Hespéris**, IV, 1924, p. 27, note 4.
  - J. Berque, Maghreb **Histoire et sociétés**, p. 12.



# الأعلام البشرية



## إبراهيم بن محمد الكنتافي

إبراهيم بن محمد الكنتافي<sup>(1)</sup>، واحد من سبعة أبناء خَلَفَ محمد نَائِبَ الحسن<sup>(2)</sup> ثالث شيوخ أو إِيْمَغَارَنَ هذه الأسرة وأشدهم قوة<sup>(3)</sup>. ولد بتاكنتافت حوالي 1840<sup>(4)</sup>، وبها ترعرع وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن كلا أو بعضاً<sup>(5)</sup>.

إن حياة إبراهيم بن محمد الكنتافي تنطبق على الفترة الزمنية التي اتسعت فيها منطقة نفوذ أسرته، في عهدي أبيه محمد بن الحاج أحمد (1855-1883)<sup>(6)</sup>، وأخيه القائد الطيب الكنتافي (1855-1883)؛ مع العلم أن وفاته تمت بعد 1906 وقبل 1911<sup>(7)</sup>؛ وقد رجح P. Pascon كونه مات سنة 1907<sup>(8)</sup>.

لقد لعب إبراهيم بن محمد طوال حياته دوراً هاماً في الحفاظ على تماسك «إيالة» آل الكنتافي<sup>(9)</sup>. فإذا كنا لا نعرف شيئاً عن مهامه في عهد أبيه القائد محمد، فإننا على علم بأنه كان خليفة أخيه القائد الحاج الطيب منذ البداية. وتكفل له وهو خليفة في «آكركُور»<sup>(10)</sup> - يساعد في ذلك الخليفة الحسن بن الحاج الطيب بتلات ن - يعقوب والخليفة محمد بن محمد (أخو إبراهيم بن محمد) بأيت سَمَكْ بسوس الأعلى<sup>(11)</sup> بمراقبة المنطقة الواسعة التي كانت خاضعة لحكمهم، والتي تمتد من ضواحي مراكش شمالاً إلى راس الواد (إيمي- نْ - وأسيف) بسوس عبر وادي نفيس<sup>(12)</sup>.

أما المهام التي كان يقوم بها أو يشرف على إنجازها فكثيرة ومتنوعة، من أهمها تلك التي تشير إليها بعض رسائله الموجودة أو التي وجهت إليه من أخيه القائد الطيب أو من مساعديه من شيوخ ومقدمين (13). يمكن تلخيص تلك المهام كما يلي :

- الحرص الكبير على الحفاظ على الأمن في كل أرجاء المنطقة الخاضعة؛ وحتى يتم ذلك، لا بد من اليقظة التامة لمعرفة كل ما يجري سواء داخل «الولاية» أو خارجها<sup>(14)</sup>، وإخبار القائد بالشاذة والفاذة سواء كان مقيماً أو في حركة؛

- جمع الأداءات والمغارم المختلفة من شيوخ المجموعات الخاضعة من هدايا المناسبات وفروض متجددة وترتيب -بعد إحداثه- وواجبات النزلة وموئن الحركات أو الواردين على المنطقة من أصحاب المخزن... بالإضافة إلى الإشراف على استغلال وتسيير الأملاك الواسعة الخاصة بعائلة القائد. كانت الأموال المستفادة يسيل جلها إلى مراكش أو فاس حيث يقيم القائد في غالب الأحيان؛

- العمل على حل مشاكل الناس اليومية باستعمال وسائل مختلفة من عرف وشرع وضغوط... مع مراعاة الحفاظ على هيبة «الدار بإبراز قوتها وغناها، وتقين روابط التحالفات العائلية والمصلحية... التي يبني عليها الصرح الكنتافي بأكمله على المستوى الداخلي على الأقل<sup>(15)</sup>.

إن إبراهيم بن محمد الكنتافي، رغم أنه لم يكتسب شهرة أخيه القائد الطيب كان من أبرز شخصيات أسرة آيت الحسن بوادي نفيس. بل يمكن اعتباره أقوى سند لأخيه القائد الذي كان مضطراً إلى التغيّب شبه المستمر عن الجبل<sup>(16)</sup>. فحياته كلها قضاها في الجبل، وممارسته

للسلطة جعلت منه -لا محالة- واحداً من أكبر العارفين بأسرار السلوك السياسي والعلاقات المجتمعية لدى سكان أطلس مراكش؛ وهذا هو ما يفسر -على ما يبدو- كون أبنائه وخاصة منهم الحاج الحسين ومحمدو- براهيم، هم الذين تولوا القيادة من بعد الحاج الطيب. وكانوا آخر من حاول -في ظروف صعبة حقاً- الحفاظ على بناء بدأت مرحلة تجاوزه...

### المراجع :

- (1) لا «الكندافي» كما هو شائع، نسبة إلى تاكنتافت، وهي مجموعة قرى صغيرة توجد جنوب شرق تينمل، قريبا من حصن القائد الكنتافي الأول : «ءاكاديرن - تكنتافت»، انظر عبدالله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد...، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1607 د، ص 284 .
- (2) هذا هو الاسم الذي تعرف به الأسرة قبل أن يتغلب الاسم الحالي أي «الكنتافي». توجد لدينا وثائق متعددة خوطبوا فيها بالاسم الأول دون الثاني.
- (3) انظر: أحمد الناصري، الاستقصا، ج.9، الدار البيضاء، 1956، ص. 146-147، 149؛

انظر كذلك :

- R. Montagne, «Le développement du pouvoir des Caïds de Tagountaft, Grand-Atlas», in **Mémorial Henri Basset**, Paul Geuthner, Paris, 1928, pp. 169, sqq.

- Colonel Justinard, **Un grand Chef Berbère, Le Caïd Goundafi**, Ed. Atlantides, Casablanca, 1951, pp. 45, sqq.

(4) نعتقد أنه أكبر سناً من أخيه الحاج الطيب الذي ولد حوالي 1850؛ انظر جوستار Colonel Justinard المرجع السابق، ص 47.

(5) في رسالة مؤرخة بـ 20 قعدة 1323 هـ. خوطب بعبارة: «الطالب السيد إبراهيم الكنتافي». الرسالة في ملكنا.

(6) انظر: روبر مونتاني R. Montagne، المرجع السابق، ص 172-173.

(7) آخر رسالة متوفرة خوطب فيها بالخليفة، مؤرخة بـ 16 جمادى الأولى 1323، انظر:

- P. Pascon, **Le Haouz de Marrakech**, Rabat, 1977, Tome Second, p.125;

وأول رسالة متوفرة تظهر أن ابنه الحسن بن إبراهيم تحمل المسؤولية. مؤرخة بـ 9 حجة 1330 هـ.

(8) المرجع نفسه، II، ص. 95.

(9) هكذا يُسميها القائد الحاج الطيب الكنتافي، في بعض رسائله، انظر

بول پاسكون Paul Pascon، المرجع السابق، II، ص 120.

(10) قرية بـ عوزكيتا جنوب شرق مراكش، بها قصبه القائد الكركوري قبل

أن يأخذها الكنتافي رسمياً عام 1894/1312-95. انظر ظهير التولية في كتاب پاسكون السابق الذكر ج. II، ص 102.

(11) انظر رسالة الحاج الطيب إلى الخلفاء الثلاثة في كتاب پاسكون السابق

الذكر، ج. II، ص. 120؛

- D. Paul Chatinières, **Dans le Grand - Atlas marocain, Extrait du Carnet de route d'un médecin d'assistance médicale indigène, 1912-1916, Paris - Plon, pp. 71-73.**

(12) وقع هذا التوسع بصفة خاصة في عهد مولاي عبدالعزیز الذي ربط معه الحاج الطيب علاقات خاصة، انظر ظواهر التولية في كتاب پاسكون السابق الذكر، ج. II، ص. 100، 102، 106، 110، 112، 113، 115، 119، 121، 122، 128، 129، 133، 134، 136.

انظر كذلك :

Marquis de Segonzac, **Au coeur de l'Atlas, Mission au Maroc 1904-1905, Paris, Larose, 1910, pp. 514-516.**

(13) بعض هذه الرسائل نشرها پاسكون في كتابه السابق الذكر، أما البعض الآخر فيوجد في حوزتنا .

(14) للقيام بهذه الوظيفة نسجت شبكة معقدة للتجسس وجمع الأخبار تشمل كل الأنحاء، وأخرى للبريد تحدت صعوبة الجبال وخطورة المسارب.

(15) من المعلوم كذلك أن سلطة القواد الكبار استندت إلى حد كبير على مساعدة المخزن المركزي وموالياته، بالإضافة على ظروف مساعدة أخرى، كتوفرهم -قبل غيرهم- على أسلحة متطورة، حصلوا عليها بطرق مختلفة:

انظر:

R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc, Paris, 1930, p. 335.**

(16) انظر جوستينار، المرجع السابق، ص. 86؛ تجدر الإشارة هنا إلى أن دور سي علي ن -إيلفمان، خال القائد والخليفة، كان دوراً أساسياً في هذا المجال. وقد كان بصفة خاصة مكلفاً بكل ما له علاقة بالسلح والمواجهات المسلحة. وكانت شخصيته وسلطته مصدر هيبة كبيرة لدى الناس.

## أَرْغَنُ

«أَرْغَنُ» (= هرغة)، اسم مجموعة بشرية، تقع مساكنها اليوم جنوب تَافِينْغُولْتْ وشرق تارودانت. وتجاورها المجموعات البشرية الآتية: إيدَاوْنِيضِيْفٌ وإيدَاوَزْدُوْتٌ جنوباً، وإينْدَاوَزَالٌ شرقاً، والمنابهة شمالاً، وإدَاوْفِينِيْسٌ غرباً.

ويبدو أن موقعها المذكور هو نفس الموقع الذي كانت تحتله منذ القرن الثاني عشر الميلادي على الأقل. وكانت «إيْغَلِي» المعروفة في الكتب التاريخية واقعة داخل ترابهم، وهي التي كانت تعرف - حسب عبد الواحد المراكشي مؤلف المعجب بـ «إيْغَلِي نْ - وارْغَنُ».

اشتهر «أَرْغَنُ» في التاريخ، لأن محمد بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية، كان منهم. ولأنهم كانوا أول من استجاب لدعوته وناصروه وحينما استقر بـ «تِينْمَلْ» في وادي نفيس، استقرت معه فيها مجموعة منهم، واحتفظت بنفس الاسم. وتعرف بأَرْغَنُ أو هرغة نفيس، تمييزاً لها عن هرغة سوس.

وقد كان مقامهم في الترتيب الموحيدي مقاماً رفيعاً، خصوصاً بعد أن قوَّى الإمام المهدي بن تومرت صفوفهم، بمن أضاف إليهم من «قبائل» التي ينتمي جلها إلى أيمن نْ -واسيفٌ أو سوس الأعلى حيث يوجد «أَرْغَنُ» كذلك- وبمن آخى معهم من شخصيات موحدية بارزة كالخليفة عبد المومن بن علي وغيره.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد المختار السوسي ذكر في الجزء الرابع من خلال جزولة، أن عائلات من «أَرْغَن» سوس، لا تزال تحتفظ بذكرى انتمائها النسبي إلى الإمام المهدي بن تومرت.

وإذا كانت هرغة سوس قد خبا ذكرهم، بعد سقوط الدولة الموحدية -وربما قبل ذلك-، فإن «أَرْغَن» نفيس برزوا في القرن الثامن عشر الميلادي -حسب كتاب رحلة الوافد- برئاسة شيخهم يحيى ابن عبدالكريم الهرغي، صديق شيخ زاوية تاسافت، برزوا ليلعبوا دوراً هاماً في الأحداث التي وقعت بين سكان المنطقة وباشا مراكش من قبل المولى إسماعيل، عبدالكريم بن منصور التكني.

### المراجع :

- إن جل المصادر التاريخية التي تحدثت عن الموحدين، يوجد بها ذكر لأَرْغَن، ولذلك فإننا سندرج هنا البعض منها فقط.
- البيذق (أبو بكر الصنهاجي)، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، إخراج وتصحيح وترجمة، إ. ليثي پروفانصال، باريس 1928، ص. 37، وما بعدها. وأماكن أخرى من الكتاب.
- عبدالواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط. السابعة، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978، ص 262 .
- ابن خلدون، تاريخ البربر، (بالفرنسية)، باريس 1969، ج. II، ص. 258 وما بعدها وأماكن أخرى من الكتاب.

- عبدالله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد... تحقيق علي صدقي أزايكو، كلية الآداب، الرباط 1988، ص. 18، 21، 58.. وأماكن أخرى من الكتاب.
- الناصري (أحمد بن خالد)، كتاب الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. II، ص. 83 وما بعدها.
- المختار السوسي، خلال جزولة، المطبعة المهدية - تطوان (بدون تاريخ)، ج. 4، ص. 163، وما بعدها.
- رويبر مونتاني، البرير والمخزن في جنوب المغرب (بالفرنسية)، باريس، 1930، ص. 30، 63، 70، 201... وأماكن أخرى من الكتاب.
- عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط 1968، ص. 326.

## أَيْتُ إِيْرَاتْنُ

من الأسماء التاريخية الغامضة المدلول التي نصادفها في بعض كتب التاريخ المحلي، اسم أَيْتُ إِيْرَاتْنُ. الغموض هنا يشمل المدلول اللغوي لـ «إِيْرَاتْنُ» والمضمون السوسولوجي لـ «أَيْتُ إِيْرَاتْنُ».

أما من حيث المدلول اللغوي، فإننا نرجح أن يكون مأخوذاً من مادة «إِيْرْتِي» التي تعني من بين ما تعني الخلط والاختلاط سواء تعلق الأمر بالأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء. وتعني مجازاً الإنسان المضطرب المشاغب<sup>(1)</sup> أو الجماعة أو البلد.

ويبدو أنهم كانوا فعلاً أخلاطاً من أصول مختلفة عرفوا كحلف أو «لَفّ» في منطقة وادي نفيس وشرق جبل سِيْرُوا. كما أن سلوكهم التاريخي يظهر أنهم كانوا بالفعل مشاغبين مضطربين ومخادعين. وقد لعبوا دوراً هاماً في مساعدة الباشا عبد الكريم ابن منصور، عامل المولى إسماعيل على مراكش والجنوب الغربي، على الدخول بحركته إلى وادي نفيس، واتهمه شيوخ اللف المنافس صراحة بالغدر والخيانة<sup>(2)</sup>.

أما عن المضمون السوسولوجي، فيبدو أنهم لم يكونوا يكونون «قبيلة» بالمعنى المعروف في الأطلس الكبير وسوس الأعلى. وإذا كان مؤلف رحلة الواقد يذكرهم تارة كقبيلة، وتارة أخرى كَلَفّ، فإنما ذلك منه خلط يمكن تفهمه<sup>(3)</sup>. أما روبرت مونتاني، فقد اعتبرهم لَفّاً سواء منهم الموجودين بجبل سِيْرُوا أو بوادي نفيس<sup>(4)</sup>.

هناك مشكلة أخرى لا بد من إثارتها هنا، وتتعلق بوجود اسم أَيْتَ إِيرَاتْنُ في مكانين متباعدين أي في وادي نفيس وشرق جبل سِيرُوا. في حين لا نجد له أثراً في المناطق الفاصلة بينهما أي في أُونَايْنُ وَتَيْفَنُوتَ وَزَاكْمُوزْنُ. نعم، نحن نعرف أن التشابكات اللفية تشمل مناطق واسعة ومجموعات بشرية متباعدة، ولكن الأسماء تختلف من منطقة إلى أخرى. فحلفاء لَفِ أَيْتَ زُولِيطُ الموجود جنوب تيزي-ن-تاست مثلاً، لا يحملون نفس الاسم في وادي نفيس.

هل يتعلق الأمر بانتقال فعلي لمجموعات بشرية من أَيْتَ إِيرَاتْنُ بسيرُوا إلى وادي نفيس، واحتفظت باسمها الأصلي؟ يمكن افتراض ذلك، لسبب واحد، هو أن اسم أَيْتَ إِيرَاتْنُ لم يرد في كتاب البيدق. في حين ورد اسم أَيْتَ عثمان كفخذ من إِيكْدَمِيون أو كْدَمِيوة<sup>(5)</sup>. وأيت عثمان هو اسم اللف المنافس لَفِ أَيْتَ إِيرَاتْنُ، كما هو واضح في رحلة الوافد.

هل يمكن أن يفهم من هذا أن أيت عثمان هم الأصليون، وأن أَيْتَ إِيرَاتْنُ هم الوافدون؟ إن عناصر الجواب عن هذا التساؤل ليست متوفرة الآن. ومع ذلك، نود أن نذكر فقط بأن أهل تينمل في الترتيب الموحد كانوا مكونين في الدرجة الأولى من مجموعات بشرية تنتمي إلى منطقة سوس الأعلى ومنطقة جبل سِيرُوا<sup>(6)</sup>.

بقي أن نشير في ختام هذه النبذة، إلى أن آخر نزاع مسلح وقع بين أَيْتَ إِيرَاتْنُ وأعدائهم أيت عثمان يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر. وقد انتهى بانتصار أَيْتَ إِيرَاتْنُ بزعامة عائلة الكنتافي التي

حكمت منطقة وادي نفيس منذ ذلك الوقت إلى استقلال المغرب في بداية النصف الثاني من القرن العشرين<sup>(7)</sup> ..  
وقد اندثر اسمهم اليوم كلف وبقي كاسم قرية على الضفة اليمنى لوادي نفيس هي تاركا -ن- أَيْتْ إِيرَاتْنْ.

### المراجع :

(1) انظر

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, Imprimerie Nationale de France, 1951, t.IV, P. 1673 sq.

(2) انظر عبد الله بن ابراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد، تحقيق علي صدقي، (مرقون) ص. 21، 51، 72 وما بعد، 78 وما بعد، 107، 122.

وكذلك :

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, PP. 185, 195, 276 et passim.
- Id. L'Aghbar et les Hautes vallées du Grand - Atlas, in **Hespéris**, Tome VII, Année 1927, 1<sup>er</sup> trimestre, PP. 15 sqq.

(3) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحات.

- (5) أبو بكر الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليفي بروفانصال، باريس 1928، النص، ص. 41.
- (6) أبو بكر الصنهاجي البيذق، المرجع السابق، ص. 40-41 .
- (7) R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, PP. 276 sq, 301 sq, 327 sq.

## إِيكُونْكَا

«إِيكُونْكَا» هو اسم مجموعة بشرية صغيرة (حوالي 350 كانون في بداية القرن العشرين)، تنتمي إلى اتحادية «أَشْتُوْكُنْ» أو هشتوكا الواقعة أراضيهم جهة الجنوب من مدينة أكادير.

أما أراضي «إِيكُونْكَا» بالذات، فتقع جنوب مدينة «بُونْكَرَا»، وتمتد على منطقة هضبية بين الأطلس الصغير وسهل سوس. ويحدها «إِيدَاوْكَازَانْ» حد الجنوب و«إِيمَشْكَيْغِيلْنْ» من الشرق، و«تَاسْكَدَلْتْ» من الشمال. و«إِيدَاوْمَحْمَدْ» و«إِيدَاوْمُنُو» من الغرب.

ويخصوص المعنى اللغوي لكلمة «أَكْنُكُو» في المفرد، وجمعها «إِيكُونْكَا»، فإننا لم نتمكن مع الأسف من التعرف عليه وتحديده الآن، اعتمادا على ما هو مكتوب من كتب اللغة.

إن موقع بلاد «إِيكُونْكَا» عند ملتقى الجبل والسهل، أثر كثيراً على مجرى حياتهم السياسية والاقتصادية. إذ جعلهم ذلك على الدوام بين أخذ ورد بين جاذبية السهل والسلطات التي تتحكم فيه، وضغط الجبل المائل إلى الاستقلال والتملص من سلطة المخزن التي تسود عادة في المناطق السهلية.

وقد تورطوا أكثر من غير من سكان «الدير» نظرا لوجود واحد من أهم المسالك الطبيعية التي تخترق الأطلس الصغير الغربي من شماله إلى جنوبه، انطلاقا من أراضيهم.

هذا الطريق يبتدئ من «إيمي مَقُورَن» أو المدخل الكبير، عند الحدود الغربية لأرضهم ويمر ببلادهم ليؤدي إلى أيت باها وأيت مَزَال ثم إلى إيداوَسْمَلَال وأمانوَز حتى تامانارْت...

ومنه تمر حركات المخزن عند الضرورة في اتجاه الجبل، وإليه ينتبه الجبليون ليتحكموا فيه درءاً لحملات المخزن العكرية.

هذه الوضعية التي تعرضهم للضغوط الآتية من السهل والضغوط الآتية من الجبل، والتي تتكرر دوريا حسب ما يقع من تغييرات على مستوى السلطة المركزية -بالإضافة إلى عوامل أخرى- اضطرتهم إلى البحث عن وسائل ناجعة، تقيهم من خطر الفناء في زمن الأزمات. ومن هذه الوسائل مؤسسة أكادير أو حصن الجماعة، والمعروف باسم «أكاديرن - إيكُونكا». (انظر مادة «أكادير»).

لقد تأسس هذا الحصن في أواخر القرن السابع، في أعلى منطقة من بلاد إيكُونكا وهي المماة «أزيلال»، وهي التي توجد فيها أقدم قرى إيكُونكا مع المدرسة والسوق واختيار هذا الموقع راجع بالطبع إلى أسباب أمنية. ومعلوم أن منطقة سوس عرفت في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر اضطرا بات كثيرة بسبب التأثيرين على السلطان من أفراد عائلته وأبنائه.

ومنذ تأسيسه إلى نهاية القرن التاسع عشر، أدخلت عليه تعديلات متوالية قصد توسيعه وتحصينه. ويبدو أنه كان في البداية ملكا لثلاث مجموعات فقط، هي: ايت بَاَحْمَانْ وإيت صيضا وإيت مَشْرَاكْ، ثم انضم إليهم بعد ذلك ايت وَارَاَحْمَانْ، وهذه المجموعات تكون نصف «قبيلة» إيكُونكا.

وفي بداية القرن التاسع عشر، بدأ الحصن يحمل اسم «أكادير ن-إيكونكا» بعد أن كان يسمى في الوثائق التي كتبت قبل التاريخ المذكور «حصن بني باحمان» وفي نفس الوقت التحقت المجموعات المكونة للنصف الآخر من «إيكونكا» بالمشاركين في الحصن. وبذلك أصبح مؤسسة يستفيد منها مجموع سكان «القبيلة».

وحتى تكون مؤسسة أكادير المركز الموحد للجماعة، والمكان الآمن لممتلكاتها وأسباب عيشها، والملجأ الحصين لها حين تداهمها المخاطر، أحاطها المستفيدون منها بهالة من الاحترام والوقار، كما وضعوا قانونا يُعتمد في تسييرها وفي حل ما قد يعرض من مشاكل ونوازل أثناء ذلك. كما كونوا مجلس «إينفلاس» الذي يسهر على تنفيذ القانون وتأويله، وقد يضيف إليه عند الضرورة بعض البنود التي تستلزمها المستجدات من القضايا. وهذا المجلس يتجدد كل سنة، ولا يشارك فيه إلا ذوو السمعة الطيبة والأخلاق المحمودة من علية القوم.

### المراجع :

- R. Montagne, «Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : Agadir des Ikounka», Hespéris, Tome IX, Année 1929, 2<sup>e</sup> - 3<sup>e</sup> Trimestres, pp.145-266.

## بوعبدئي (ابراهيم)

كان واحداً من أبرز قواد دير الأطلس الكبير المراكشي في العقدين الأولين من القرن الثامن عشر. ينتمي إلى عائلة عريقة، دفع الطموح السياسي برؤسائها إلى الخوض في الأحداث الكبرى التي شهدتها منطقة الجنوب وعاصمتها مراكش بصفة خاصة.

ويبدو أن المصدر الوحيد الذي يشتمل على بعض أخبار هذا القائد هو رحلة الوافد لعبدالله بن ابراهيم التاساوتي. أما سبب حديثه عنه فراجع إلى كون الظروف جمعت القائد بوعبدلي وشيخ زاوية تاساوت، أبي المؤلف، ولأسباب مختلفة، لما كانا هاربيين من قبضة باشا مراكش عبدالكريم بن منصور التكني، ولاتنين بجبال وادي نفيس، فعاشا في وضعية متشابهة مدة تزيد عن ثلاث سنوات. فتداخت وقائع وحلتيهما في رحلة الوافد.

القائد ابراهيم بوعبدلي (أو ابن بوعبدلي) الكدميوي التيزكيني، هو كما يدل عليه اسمه من مجموع إيگدميُون الذين تقع أراضيهم جنوب غرب مراكش وتيزكِين مجموعة من قراهم تقع في الدير إلى الغرب من أمزميز. وقد عد البيذق أيت تيزكِين من كدموية الفحص. وبوعبدلي هذا هو قائدهم في هذه الفترة التي نتحدث عنها. وهو كما وصفه مؤلف الرحلة «فارس من فرسان أبطال

كدميوة ومن أخيار كقاتهم في الطعن والضرب، وجواده من أحرار الصافنات الجياد...»

كانت العلاقات بين القائد بوعدلي وباشا مراکش عبدالكريم بن منصور غير ودية. ثم تحولت فيما بعد إلى عداوة مستحكمة بينهما. خصوصا بعد أن استغل بوعدلي فرصة غياب الباشا عن مراکش. واقتحم منزله الموجود بـ كوزمت بإيحاخان (حاحة) هو وأصحابه وعاثوا فيه فسادا .

وبعد رجوع الباشا من مكناس إلى مراکش، هرب القائد بوعدلي بأهله من بلده تيزكين إلى إين - مَاغُوسْ (ماغوسة) بأعلى بلاد إيگدميُونْ واستجار بهم. وهناك حاصر بعض أصحاب الباشا ووقعت بينهم مناوشات دامت أياما حتى استغاثوا بالباشا وأمر هذا الأخير القائد علي بن إيدار بقصبة أمزميز بتحسين قصبته وشد الخناق على سكان الجبل والفقراء المنتمين إلى زاوية تاسافت.

انتقل القائد بوعدلي إثر ذلك إلى وادي نفيس بعد أن كاتب بعض كبار البلد بمن فيهم شيخ زاوية تاسافت، ورحبوا به، كما ضمنوا له الأمان هو ومن معه. ولما علم الباشا بذلك، ازداد غيظه وبغضه للجبل وأهله، فأمر بتجديد الحصار عليهم من كل ناحية.

وفي الوقت نفسه أرسل الباشا خمسمائة مثقال فضة إلى أصدقاء بوعدلي من أشياخ وادي نفيس مقابل غدره وقتله. لكنهم أخبروا بوعدلي بذلك، وردوا للباشا مثاقيله.

وفي تلك الأثناء ذهب القائد بوعدلي خفية إلى تارودانت، واستقبله بها خليفة السلطان عبد الملك بن اسماعيل، غير أننا لا نعرف

شيئاً عما دار بينهما . ولكننا نلاحظ أنه بعد هذه الزيارة، لم يرجع بوعبدلي إلى وادي نفيس، بل استقر ببلاد إيداوْزْدَاغْ على الواجهة الجنوبية لجبل دَرَنْ، بعد أن أهلت من محاولة تستهدف إلقاء القبض عليه في سهل سوس، دبرها أحد أصدقائه بإيعاز من الباشا عبدالكريم بن منصور .

التحق به أهله إلى مستقره الجديد، وبقي يتنقل في بلاد إيداوْمَسَاطوْغْ بإيداوْزْدَاغْ من مكان إلى آخر كلما حاول الباشا إرشاد من يقتله، إلى أن ورد عليه كتاب العفو من السلطان عام 1715 بواسطة الشيخ واكريم الفروكي صديقه وواحد من أصحاب السلطان .

وبعد ذلك بمدة ورد عليه رسل السلطان، وهم في هذه المرة من الأداة أصحاب القائد بوعبدلي، ومعهم كتاب العفو وأذن السلطان له بالالتحاق بمكناس .

ولما اطلع الباشا على الكتاب، أذن هو بدوره للقائد بوعبدلي بامثال أمر السلطان ولكنه بعث في الوقت نفسه إلى أصحابه بحوز مراكش، ومنهم القائد بنشيتة الكدميوي واشياخ إين -رُوضَنْ (مزوضة)، يأمرهم بمراقبة أبواب الجبل لإلقاء القبض على بوعبدلي والحيلولة دون انفلاته ووصوله إلى مكناس .

بعد إقامة الأودية بضعة أيام مع القائد بوعبدلي في مقر إقامته بأمَنْدَارْ ببلاد إيداوْمَسَاطوْغْ، ودعهم وأرسل معهم أهله واتجهوا نحو مراكش عن طريق وادي نفيس، في حين اتجه هو نحو زينيت بإيسْكَاوَانْ (سكساوة)، يحرسه نحو مائة رجل من إيداوْمَسَاطوْغْ إلى أن أوصلوه إليها . وبقي هناك مع بعض منهم يترقب الفرصة للنزول إلى السهل دون السقوط في أيدي أصحاب الباشا .

لقد تمكن من ذلك فعلا بعد أن أفلت بأعجوبة من الحراس، ووصل إلى أصدقائه الفروكيين، الذين أخفوه عندهم مدة. ثم ساعده على الوصول إلى مكناس.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما قام به الفروكيون بخصوص هذه المسألة، ما كان ليتم لو لم يكونوا مستقلين عن سلطة باشا مراكش. وهذا الاستقلال منحهم إياه السلطان لكونهم تربطهم به صلة المصاهرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولما علم الباشا بذلك خاف من مغبة ما سيخبر به القائد ابراهيم بوعبدلي السلطان بخصوص الأحداث التي عاشها أو تتبعها عن قرب أثناء حركة الباشا ضد جبال دَرَنْ وسوس. ولذلك كان لابد له من إيجاد مدافع عنه لدى السلطان حين قدومه إلى مكناس لدفع ما جمعه من أموال. ومن أجل ذلك «كان يرسل لصاحبه حاجب الملك القائد عبدالملك المهري بالهدايا الخفية والحوائج المرضية. يتكلم بكلامه في بساط الملك وإيوانه وفي الدار العالية بالله».

والمهري هذا هو وأصحابه كانوا هم الذين دافعوا عن الباشا عبدالكريم بن منصور حين اتهمه بوعبدلي، أمام السلطان، بإخفاء جزء كبير مما جمعه من أموال الجنوب. وقالوا للسلطان: إن ما قاله بوعبدلي ضد الباشا «كان بسبب العداوة الكائنة بينهما». هذه العداوة لا أعتقد أنها ابتدأت بحادث هجوم بوعبدلي على دار الباشا يَكُوزْمَت، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ويبدو أن هذا الحادث ليس، على العكس، إلا نتيجة لعداوة متأصلة بين الرجلين.

أما سببها فيرجع حسب تقديرنا إلى وجود تنافس بينهما يعود إلى ما قبل تعيين عبدالكريم بن منصور باشا في مراكش، لأنهما تعارفا أثناء حملة زيدان بن اسماعيل على مراكش وتارودانت ضد أخيه محمد العالم الثائر على أبيه.

فقد ذكر مؤلف الرحلة أن محمد العالم حينما هاجر إِيحَاخَانَ

(حاحة) ومراكش عام 1703، قتل من بين من قتل القائد علي بن بوعبدلي بتيزكين، وشرد عائلته، وكان إبراهيم بوعبدلي ممن أفلت بالتجائه إلى جبال أوكندمت. ثم بعد ذلك التحق بمكناس وأقام بها شهرين. جهز السلطان إثرها جيشا بقيادة ابنه زيدان ومعية القائد إبراهيم بوعبدلي.

وحين حديثه عن الباشا كتب مؤلف الرحلة ما يلي: «وهذا الباشا رجل أمي لم يقرأ ولا تعلم شيئا من أمر الطلب، وإنما هو من أصحاب ابن الأمير المذكور مولاي زيدان بن اسماعيل وتربيته...». وأضاف بأنه قبل الدخول في الخدمة المخزنية كان «حمارا يتجر في المغزل بوادي أغبار في أعلى وادي نفيس، يشتريه ويذهب به لمراكش يبيعه بها، مدة طويلة».

ويبدو أن اختلاف الأصول العائلية لكل من القائد بوعبدلي والباشا عبدالكريم، ربما كان هو الذي جعل القائد بوعبدلي الذي ينتمي إلى عائلة من القواد متألصة في قبيلتها إيكدميون العتيدة، يشعر بارتضاع شأنه، وبأحقية في احتلال مكانة أكثر رفعة من التي يتبوأها الباشا بائع الغزل أو المغازل سابقاً.

ومما يؤكد ذلك ما جرى له مع باشا مراكش الجديد، بعد موت منافسه عبدالكريم بن منصور، الذي يشاع أنه قتل مسموما على يد الباشا مساهل أثناء حركته الأخيرة إلى نواحي دمنات.

حينما عين السلطان الغازي بو حفرة اللمطي، أحد عبيد الرمل الملتزمين الوقوف بين يديه، على مراكش وسوس، طلب القائد إبراهيم بوعبدلي من السلطان أن يسمح بمرافقته للرجوع إلى داره بإيگدميُون، فأجاز له ذلك. وحين وصوله إلى مراكش «شيع البراوات من هناك لقبائل الدير سهلا ووعراً (...) كل فريق يدعو له للمجئي، وأنه هو رب البلاد. وأتاه القوم بهداياهم، فكل من بلغ لمراكش يقصده ويعرضون عن بساط الغازي وإيوانه إلا النادر».

كل هذا جعل الغازي بو حفرة يحنق على القائد بوعبدلي، واتفق مع أعداء هذا الأخير ومنهم القائد بنشتية الكدميوي على الفتك به. وأعد وليمة كبيرة استدعى إليها شيوخ الدير وأبناء بوعبدلي، واجتمع الجميع في الجنان الكبير بمراكش. وبعد الأكل ألقى القبض على بوعبدلي وعلى إخوانه وأصحابهم، ولم يفلت منهم إلا الشيخ حمُو بن عبدالقادر التيزگيني وهو من صناديد أصحابهم، الذي تمكن من الهرب حينما أحس بالمكيدة، وتمكن من الوصول إلى الجبل على ظهر فرسه. أما القائد إبراهيم بوعبدلي ومن كان معه من الإخوان والأصحاب، فقد قتلوا خنقا حوالي عام 1718.

وهكذا اختفت هذه الشخصية المليئة بالطموح، دون أن تتجاوز مستوى الموروث العائلي من السلطة والجاه، رغم أن الشخص كان يبدو من خلال سلوكه ذكيا وشجاعا وسياسيا يعرف كيف ينسج شبكة من

العلاقات الضرورية التي لا بد منها للخوض في المستوى الذي كان يخوض فيه . وصفاته هاته يذكر كثيراً ببعض من جاء بعده من قواد أطلس مراكش وديره كالكنتافي والكلاوي والمتوغي.. ولو لم تساعده الظروف للوصول إلى ما وصلوا إليه من قوة ونفوذ.

### المصادر:

= عبدالله بن إبراهيم التاساقتي، رحلة الوافد... تحقيق صدقي علي.

## بيدق

(أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق) صاحب محمد بن تومرت ورفيقه الأول، ومؤلف كتاب الانساب في معرفة الأصحاب، وكتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين.

لا نعرف شيئاً عن تاريخ ولادته ومكانها ولا عن طفولته وأسرته. ولكننا نعرف أنه توفي في عهد يوسف بن عبد المومن، ولعل ذلك تم في أوائل توليته. يعتبر كتابه أخبار المهدي بن تومرت المشار إليه أعلاه، هو المصدر الوحيد لما نعرف عنه الآن. وفيه ورد إسمه هكذا: أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق. فهو إذن من إيزناكن أو صنهاجة، ولكن من أي فريق منهم؟

لم نعثر على أية إشارة في كتابه توضح ذلك. غير أن صحبته المبكرة لابن تومرت، تجعلنا نميل إلى افتراض كونه صحبه من المغرب في رحلته إلى المشرق. وفي هذه الحالة، يكون أبو بكر من صنهاجة الأطللس الصغير، القاطنين إلى اليوم في قسمه الشمالي الشرقي، لأنهم جيران أرغُنْ أو هرغة الذين ينتمي إليهم ابن تومرت. وربما كانا قد تعارفا في إحدى مدارس موطنيهما المتجاورين أثناء فترة التعلم الأولى.

وإذا لم يكن هذا الافتراض صحيحاً، فهناك آخر يمكن التذكير به، وهو أن الرجلين التقيا في المشرق، واقنع ابن تومرت أبا بكر بمصاحبته مع شخصين آخرين هما يوسف الدكالي والحاج

عبدالرحمان، كما وقع له عبدالمومن بن علي وغيره بعد ذلك في حكاية نعرفها .

وكيفما كان الأمر، فإن أبا بكر بن علي الصنهاجي كان من أوائل من صحب ابن تومرت، حيث كان واحداً من الرجال الثلاثة الذين كانوا معه حين دخوله إلى تونس في طريق عودته إلى المغرب. وهذا ما يتبين من الفقرة التالية من كتاب البيدق: «... فلما كان بعض الأيام أمرنا [ابن تومرت] بالأخذ على أنفسنا، وقال لنا نتوجه إن شاء الله نحو الغرب، فخرجنا من تونس ونحن أربعة نفر كما كنا أول القدوم: سيدنا المعصوم رضه ويوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان عبدكم الفقير المؤلف لهذا أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، فلم نزل نجد السير حتى وصلنا قسنطينة...» (50-51).

وبما أن يوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان يحملان صفة الحاج في كتاب البيدق، فإن ذلك يرجح أنهما كانا من الحجاج المغاربة، وبالتالي فإن لقاءهما بابن تومرت ربما كان قد تم في الحج أو في مصر. وليس من المستبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى البيدق.

أما عن كنيته «البيدق»، فإنه لم يذكر شيئاً عن أصل تسميته بها. وإذا كان ليثي پروفانصال قد ذهب إلى أنها مأخوذة من الكلمة الفارسية، بيدق الشطرنج، فإننا نعتقد بأن إطلاقها بهذا المعنى القدحي، يعد من باب التنايز بالألقاب. ولا نظن أن ابن تومرت سيقبل هذا، خصوصاً وأن أبا بكر الصنهاجي من الذين لازموا مدة طويلة.

ينبغي إذن أن نبحث عن معنى آخر لكلمة «البيدق» يصلح لتبرير قبولها كنية لأحد أصحاب ابن تومرت الأوائل.

إن كلمة البيذق تعني كذلك: الدليل في السفر، والماشي راجلاً. وهذان المعنيان هما اللذان نرجحهما بخصوص كنية أبي بكر الصنهاجي، لأن هناك دلائل كثيرة تؤيد ما ذهبنا إليه.

لقد سبق أن ذكرنا بأن أبا بكر دخل إلى تونس مع ابن تومرت ورفيقيين آخرين حين رجوعهم من المشرق في اتجاه المغرب. وربما كان سبب وجود أبي بكر الصنهاجي مع جماعة ابن تومرت هو كونه يعرف الطريق، وهذا لا يتأتى إلا إذا ذهب من بلده المغرب إلى الحج عن طريق البر، الشيء الذي لم يقع بالنسبة إلى ابن تومرت الذي وصل إلى الإسكندرية عن طريق البحر مروراً بالمهدية.

كان أبو بكر الصنهاجي هو الذي يقود مطية ابن تومرت في حلوله وترحاله. وقد وردت في كتابه عبارتان تثبتان ذلك. الأولى وردت حين حديثه عن غزاة هسكورة التي شج فيها ابن تومرت، حيث قال: «ورفعه اسحاق بن عمر ووسنار، وكان العبد الفقير المؤلف أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق يمسك البغلة تمويمق [اسم بغلة ابن تومرت]، ويخلف أسمكي يمسك الدرقة والرماح، فأتينا به حتى وصلناه المنزل ورجعنا للقتال...» (ص. 76). ما الثانية فقد وردت حين حديثه عن إحدى جولات ابن تومرت في تينمل قبيل وفاته، حيث قال: «وكان مريضاً فقدت به البغلة فكان الشيخ أبو محمد عبدالواحد علي يمينه والشيخ أبو محمد وسنار على شماله حتى وصلنا الدار...» أي دار ابن تومرت (ص. 80).

هذه المهمة -إسماك المطية وقودها- لا يقوم بها في جبال درن إلا من تتوفر فيه شروط منها: معرفة المسالك الجبلية الصعبة، ومعرفة

طبائع المطية المقادة، وتوفر الثقة في ماسك مقودها. لأن أي خطأ منه قد يؤدي إلى نضور الدابة وسقوط الراكب. ومثل هذه الحوادث في المسارب الجبلية قليلا ما تحمد عقباها.

فأبو بكر الصنهاجي كان إذن دليلا في السفر، وماشيا راجلا أمام بغلة الإمام المهدي ابن تومرت. غير أن استعمال كلمة البيذق للدلالة على هذه المهمة، لا يمكن أن يتأتى إلا لمن كان متمكنا من المعجم العربي تمكناً كبيراً. وليس في الجماعة الموحدية الأولى من يتوفر فيه هذا الشرط إلا محمد بن تومرت. وبالتالي فهو الذي يكون قد أطلق هذه الكنية على صاحبه. ولا يستبعد أن تكون الكنية الحقيقية لأبي بكر الصنهاجي هي أَفَدَدُ التي تعني بالأمازيغية: الدليل والرائد، فعربها ابن تومرت وأصبحت بيذق وهذا شيء محتمل جداً، لأننا نعرف أن ابن تومرت عرب أسماء كثير من أعضاء جماعة الموحدين، وأعطاهم كنى لم تكن لديهم من قبل.

وعن دور أبي بكر الصنهاجي في حركة الموحدين، سواء في عهد ابن تومرت أو في عهد عبدالمومن، فقد كان من أكثر الأدوار نشاطاً وحضوراً. فبالإضافة إلى كونه من المقربين إلى ابن تومرت منذ بداية أمره، ومن أوائل المبايعين له، شارك في جل غزوات الموحدين في عهد المهدي بما فيها غزوة البحيرة الشهيرة، والتي كان فيها -هو وعبدالمؤمن- من بين الموحدين القلائل الذين نجوا من الموت. كما شارك في المعارك الحربية الأولى في عهد الخليفة عبد المومن، والتي انتهت بسقوط مراکش في يد الموحدين.

ومشاركته هذه غالبا ما يشير إليها في كتابه باستعمال ضمير المتكلم، عند الكلام عن الأحداث التي حضرها. وهكذا يقول مثلا: «ونزلنا البحيرة وبقين بها أربعين يوما...». «وأقبلنا على الكست» (غزو كزولة)، «أمرنا بالخروج» (غزوة تينلين)...

ولكن أهم أعمال أبي بكر الصنهاجي هي قبل كل شيء، كتاباه المشار إليهما في أول هذا العرض، ولولا ما يعتريهما من بتر مؤسف لسمحا لنا ولا شك بالتعرف عليه أكثر وعلى الموحدتين المؤسسين وتاريخيهن.

### المصادر:

- أبو بكر الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي... إخراج ليثي بروقتصال باريس 1928.
- محمد شفيق، المعجم العربي - الأمازيغي، ج. I، الرباط 1990، ص. 459.
- E. Destaing, *Vocabulaire français - berbère*, Paris 1920, p. 102.

## تَاعَزُابْنَتُ نَاصِر

ذكرها مؤلف «رحلة الوافد...» أثناء حديثه عن «المقبرة الكبرى بعدوة وادي نقيس، التي الآن بقرب سور المدينة [تينمل] عند الطريق...» قائلًا: «وفي وسطها [المقبرة] بيت المرابطة [التي] يقال لها تَعَزَى بنت ناصر ومعها قبور أخرى في البيت، ما زال القوم يتبركون بها وبهم الآن...» (ص. 174).

هذه السيدة التي نعتها المؤلف المذكور بالمرابطة لا نعرف عنها شيئًا، رغم أنها كانت لها بدون شك أهمية ما على المستوى المحلي، وإلا ما كان يبنى عليها وما كانت لتدفن في «المقبرة الكبرى» التي بها قبور الموحدين والصالحين والعلماء العاملين والسادات الأشراف على حد قوله.

### المراجع :

= عبدالله بن ابراهيم التاسانتي، رحلة الوافد...، 1993، ص. 174.

## تَانَكَيْتْ

**تَانَكَيْتْ**: اسم امرأة أمازيغية من غمارة بشمال المغرب، أول من تحدث عنها، على ما يبدو، هو أبو عبيد البكري في كتابه «المسالك والممالك».

اشتهرت **تَانَكَيْتْ**، حسب ما نعرف عنها من خلال مصادر مناوئة، بالكهانة. ويبدو أنها لعبت دوراً أساسياً في الحركة التبئية التي تزعمها ابن أخيها حمو بن منو المعروف باسم «حاميم» والتي ظهرت إلى الوجود في بداية العقد الثاني من القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي وهي حركة مشابهة للحركة البورغواطية من جوانب متعددة.

كانت قبيلة **مَجْكَسَة** أو **مَجْكَيسَة** (إيماجكاسن) الغمارية التي كانت تقطن بنواحي تيطاؤون هي أولى القبائل التي آمنت بمذهب حاميم وعمته **تَانَكَيْتْ**.

وقد ورد اسمها عند البكري بهذا الشكل «تَانَقَيْت» بالقاف بدل الكاف (المعقودة) على عادته في مثل هذه الحالة. ورغم أن جل المصادر الأخرى التي كتبت فيما بعد نقلت عن البكري، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أخبار **تَانَكَيْتْ**، فإنها كتبت اسمها بأشكال مخالفة لما ورد في الأصل. وهكذا كتبها مؤلف كتاب الاستبصار «تاليت»، وكتبها مؤلف الاستقصا -نقلا عن ابن خلدون- «تالية». ويبدو أن ابن

خلدون نقل ما يتعلق بهذا الموضوع عن ابن أبي زرع أي من القرطاس. والذي كتبها «تاليت» كصاحب الاستبصار.

والجدير بالذكر أن أحد أصحاب ابن تومرت العشرة كان اسمه هو يحيى بن تَنْجِيَتْ حسب ما ورد في كتاب المحلل الموشية.

أما عن معنى كلمة «تَانْكِيتْ» فإن الحسم فيه يبدو الآن صعباً. ولكن هذا لا يمنع ابداء بعض الملاحظات التي قد تكون صالحة في تقريب المعنى المطلوب.

لقد وردت كلمة «تَانْكِيتْ» عند ابن البيطار في كتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، وقال عنها: «اسم بربري بافريقية وما والاها لنوع من النبات شوكي لا يسمو عن الأرض وعليه شهبة ظاهرة في أوراقه، وهي مشرفة وله أصول غائرة في الأرض...» (قارن مع لاووست في كتابه «الكلمات وأشياء أمازيغية» ص. 491).

ووردت كلمة «تَامْكِيتْ» (إبدال الميم نونا والعكس واقع مألوف في الأمازيغية) عند شارل دو فوكو في معجمه بمعنى التي تشتهر بأعمالها المتميزة خيراً أو شراً.

وأخيراً نشير إلى أنه لا يستبعد أن تكون كلمة «تَانِيَتْ» التي هي اسم واحدة من الآلهة القديمة المعروفة في شمال إفريقيا، هي نفس الكلمة «تَانْكِيتْ»، إذا علمنا أن حرف الكاف (بثلاث نقط فوق) تنطق ياء كذلك في مجموع اللغة الأمازيغية.

## المراجع :

- اليكري، المغرب (1956) ص. 100، 107 .
- ابن البيطار، الجامع، (1291هـ) ص. 134 .
- ابن أبي زرع، القرطاس (1973)، ص. 99 .
- مجهول، الاستبصار، (1985) ص. 191 .
- مجهول، المحلل الموشية (1979) ، ص. 108،
- الناصري، استقصا (1954)، ج. I، 192 .
- العلوي، مجلة البحث العلمي، عدد 27، ص. 222، وعدد 31، ص. 29-35 .
- شارل دو فوكون، معجم (بالفرنسية) (1951) ج I، ص. 379،
- G. Marçais, **La Berbérie...**, ( 1946 ), p. 128.

## المهدي بن تومرت

اسمه الكامل حسب ما أورده أبو بكر الصنهاجي (البيذق) هو محمد بن عبد الله بن وكليد ابن يا مصل<sup>(1)</sup>. وهو ما أكده ابن القطان<sup>(2)</sup>. وقد اختلف المؤرخون في هذا الموضوع اختلافاً كبيراً لا مجال لذكره هنا. ومن أراد الإطلاع على ذلك فليراجع: المصدرين المذكورين أعلاه. وابن خلدون<sup>(3)</sup>. وأمبروسيو هويسى ميراندا<sup>(4)</sup> ورشيد بورويبا<sup>(5)</sup>. وغيرهم ممن اهتموا بالموضوع. وقد أثبتنا اسم ابن تومرت مقتصرين على جده الثاني لأننا نعتقد أن بقية نسبه كما أورده المؤرخون غير ثابت.

وعن تاريخ ولادته التي اختلف فيها أيضاً، نرجح التي أوردها ابن خلكان<sup>(6)</sup>، لأنها أقرب إلى الصحة، أي 10 محرم 484/5 الموافق لمارس 1091، وتوفي اعتماداً على المشهور يوم رمضان 2/524 شتبر 1130<sup>(7)</sup> أو رمضان 20/524 غشت 1130<sup>(8)</sup>.

وابن تومرت أبرز وأعظم شخصية في تاريخ المغرب الإسلامي، ومحاولته الأصيل في ميدان التنظيم السياسي والاجتماعي فريدة من نوعها، ورغم ذلك، فإنه لم يحظ بعد باهتمام يكون في مستوى عبقريته.

## المراجع :

- (1) أخبار المهدي، ص. 21، النص.
- (2) نظم الجمان، ص. 34، النص.
- (3) العبر، ج. 6، ص. 225 و 226 .
- (4) تاريخ الدولة الموحدية، ج. 1، ص. 27.
- (5) ابن تومرت، ص. 15 .
- (6) وفيات الأعيان، ج. 4، ص. 144 .
- (7) أخبار المهدي، ترجمة، ص. 134 وحاشية رقم 1، النص، ص. 83 .
- (8) بوريبيا، ابن تومرت، ص. 75 .



# المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية



## أكادير

«أكادير» (تجمع على «إيكدُور») من الكلمات المستعملة في المجال الأمازيغي - بجانب مرادفتها «إيغرم» (جمعها «إيغرمَان») - لتدل على الحصن أو المخزن الجماعي أو القرية أو المنزل المحصن أو القصبية كما تدل عموماً على أي جدار كيفما كان حجمه ومادة بنائه ووظيفته والكلمة قديم استعمالها. فقد كانت اسماً لمدينة قانس القديمة، ولقلعة موحدية بضاحية اشبيلية، لمدينة تلمسان وربما لمدينة الصويرة كذلك (م - وُكادير = مُوكادُور؟)، بالإضافة إلى المدينة المغربية الحالية: أكاديرن = إيغرم.

تنتشر الكلمة بكثرة، اسماً للأماكن، في الجنوب الغربي للمغرب بما في الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير. في حين تحل محلها كلمة «إيغرم» في الأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط والجنوب الشرقي من تازناخت إلى تافيلالت، كما تنتشر بصيغة التصغير: «تاكاديرت» / تيكيدار = (تيفرمّت/تيفرمين/تيفرماتين) أو بصيغة الجمع: «إيكدُور».

تتميز هذه المؤسسات بكونها تبنى عادة على مرتفع من الأرض، يصعب اقتحامه، ويسهل الدفاع عنه. وربما كان هذا هو الأصل في تسمية الجرف كذلك بـ «أكادير» أو بـ «أجدير»، في كل من منطقة القبائل بالجزائر ومنطقة الريف بالمغرب.

أما الغاية من بنائها، فليست هي السكن الدائم للجماعة التي بنتها - باستثناء قصبات الأعيان أو ممثلي السلطة- بل لخزن ثرواتها من حبوب وزيت وغيرها، وللالتجاء إليها في حالة الحرب. كما تكون مكانا للمبادلات التجارية ولبعض الصناعات كالحدادة والتعدين وصناعة الأسلحة أو إصلاحها والحلي... وربما كان بعضها يستعمل منزلاً (نزالة) للقوافل، إذا كان موقعها على الطرق التجارية.

وقد تكون ملكاً لجماعياً لسكان قرية واحدة، أو لمجموعة من القرى المتجاورة أو لـ «قبيلة» بأكملها. كما أن بإمكان الجماعة المالكة أن تقبل لجماعة أخرى لا تتوفر على «أكادير» خاص بها، أن تضع مخزوناتها في حصنها، بعد اتفاق الجميع، مع احترام الأعراف الجاري بها العمل طبعاً.

تبنى «أكادير» بتعاون الجماعة، ويكون تصميمه على شكل مربع تعلو زواياه أبراج للمراقبة، أو على شكل مستطيل بدون أبراج، وقد يتخذ شكلاً هندسياً آخر، وذلك حسب المناطق، ومدى ما تتوفر عليه الجماعة من إمكانات مادية وبشرية. ويتكون من عدة طبقات، قد تصل إلى خمس. وتقسم كل الطبقة إلى غرف مفتوحة نحو الداخل، وهذه الغرف هي التي توزع على المتفدين أسراً وعشائر. وفيها يضعون خزائنهم ويغلقونها، وتسمى بالأمازيغية «أكنار» وجمعها «إيكنارن».

كما يتوفر عادة على مسجد وخزان للماء (مطفية)، ومسكن للحارس، وفضاء للمواشي يكون بين السور الخارجي، المكون من النباتات الشوكية والسور الداخلي المبني بالحجر أو الطين المكبوس.

إن الاستفادة الجماعية من مؤسسات «إيگودار» اقتضت اعتبارها شخصية معنوية، تنظم سيرها أعراف شفوية أو مكتوبة يعرفها الجميع ويحترمونها، لا لأنها تضم بنودا زجرية، تنفذ عند الاقتضاء بكل صرامة فحسب، ولكن لأن مؤسسة «أكادير» تحاط بهالة من الاحترام، وتكتسب في نفوس الناس هيبة الحرم، بحيث لا يجرؤ أحد على ارتكاب ما لا يليق داخلها. يشرف على تسيير هذه المؤسسة، والبت في ما قد يطرح بسببها من مشاكل، مجلس «إينفلاس» أو أعضاء الجماعة.

ومع أن الكل مسؤول على أمن «أكادير»، فإن الجماعة توظف شخصا بأجر، يقوم بالحراسة الدائمة، ويكون مقيما داخله. كما تفرض على كل الأسر المستفيدة، أن تعين بالتناوب فردا منها للقيام بواجب الحراسة لمدة يوم واحد.

إن وجود مؤسسة «إيگودار» بكثرة تلفت النظر، في المنطقة شبه صحراوية وجنوب المغرب بصفة عامة، بما في ذلك جبال الأطلس، يدعو إلى الاعتقاد بأن سبب ذلك راجع إلى أمور ثلاثة :

– ضرورة خزن المواد المتوفرة في سنوات الخصب، حتى يستعان بها على السنوات العجاف خصوصا في منطقة تتأثر أكثر من غيرها بالمناخ الصحراوي، والدورات المناخية المتعاقبة بين الجفاف والرطوبة.

– كون المنطقة غير خاضعة تماما لسلطة مركزية قارة، مما يجعل المجموعات المتساكنة في مواجهات مستمرة فيما بينها.

– كون المنطقة معرضة أكثر من غيرها لهجمات المجموعات الراحلة التي تجوب الصحراء وتخومها.

إن أهمية «إيگودار» لا ترجع فقط إلى وجود هذه الينابيع المتخصصة-نويات المدن المصغرة- عبر مناطق واسعة من المغرب، بل ترجع كذلك إلى دورها في حياة الجماعة، وإلى الكيفية التي تم بها توظيفها على مستوى القانوني، لتساهم بفعالية في بقاء الجماعة وتلاحمها. «أكادير» والأرض هما المركزان الأساسيان اللذان تتمحور حولهما حياة الفلاحين. لذلك نجد أن المجهودات التنظيمية انصبت كلها عليهما، مما نمّى لدى هذه الجماعات حسا مرهفا على مستوى التقنين وحرصا كبيرا، بلغ حد المبالغة، على تحدي الدقة في تفصيل القواعد والنوازل.

### المراجع المعتمدة :

- Ch. de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc** (1883-1884), Editions d'aujourd'hui, Var. 1985, p.62.
- Id. **Dictionnaire Touareg-Français**, Imprimerie Nationale de France, 1951, t.I, p.400.
- P. Dupas, «Note sur les magasins collectifs du Haut-Atlas Occidental», dans **Hespéris**, Tome IX, année 1929, 4<sup>e</sup> tr. pp. 303-321.
- R. Montagne, «Un magasin collectif de l'Anti-Atlas, l'Agadir des Ikounka», dans **Hespéris**, Tome IX, année 1929, 2<sup>e</sup> - 3<sup>e</sup> tr. pp. 145-266.
- Id. **Villages et Kasbas berbères**, Paris, 1930, ch. IV.

- Id. **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, Paris 1930, pp.253 sqq.
- E. Laoust, **Mots et Choses berbères**, Société marocaine d'Édition, Rabat, 1983, p.3 n° 5.
  - Id. «L'habitation chez les transhumants du Maroc central», Paris, 1935, p. 214-215.
  - Id. **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris 1942, p.70.
- J.Berque, **Structures sociales du Haut-Atlas**, Paris 1955, p.35, n.1
- J. Despois, «Les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord», dans **Cahiers de Tunisie**, Tunis, 1954, pp. 1-58.
- J. Gattefosse. «Les greniers de falaise forme ancienne d'Agadir collectif», dans **Bulletin de la société de préhistoires du Maroc**, Rabat, 1934, n° 1 et 2, 1<sup>e</sup> et 2<sup>e</sup> trimestre.
- J. Meunié, **Les greniers citadelles au Maroc**, Paris 1951,
- Nait - Balk H., **Approche archéologique et architecturale des Igoudar de l'Anti- Atlas et de leur rôle socio-économique**, D. E. A. Paris I, 1986.
- G. Camps, **Berbères aux marges de l'histoire**, Ed. des Hespérides, Toulouse, 1980, pp.280, sqq.

## أَكْدَالُ

«أَكْدَالُ» كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «كَدَلْ» الذي يفيد معنى الحماية والمحافظة والمنع أو التحريم، وتجمع على «إِيكْدَالُنْ» أو «إِيكْدَالَانْ»، وهي تعني بصفة عامة: المكان المحمي حماية مادية أو معنوية، مؤقتة أو دائمة، قصد تحقيق المصلحة والاستفادة المثلى منه. وهكذا تطلق على منطقة الحُرْم بضريح وليّ أو بجواره، ملجأ الخائف أو المطارِد/وعلى المراعي - صغيرة كانت أو كبيرة، أو مسيحية أم لا، سواء وجدت بالجبل أو السهل - التي يمنع الرعي فيها مؤقتا، بغية نمو عشبها وتمكن عروقه، ويباح فيها بعد استتزاف مراعي أخرى/وعلى البساتين الشاسعة المسورة. وبهذا المعنى خصصت في المغرب لتدل على الحدائق السلطانية الموجودة في العواصم: مراكش، ومكناس، والرباط. وتطلق كذلك على المروج المتناثرة على ضفاف الأنهار الجبلية، والتي تحاط عادة بسياج من الحجر حفظا لها من الحيوانات التي تتسرب إليها قبل الأوان الملائم.

وقد لوحظ أن كلمة «أَكْدَالُ» توجد بنفس المعنى في مجموع شمال إفريقيا. غير أن أسماء الأماكن التي لا تزال تتسمى بها في المغرب، تفوق عدداً غيرها في مناطق أخرى. والكثير منها في المغرب يوجد في الأطلس الكبير الغربي. وفي هذه المنطقة على الخصوص لعبت المراعي الجبلية العليا دوراً هاماً في حياة المجتمعات الجبلية،

سواء في علاقاتها مع بعضها البعض، أو في روابطها مع التي تجاورها من ناحية الأراضي السهلية. وهذا راجع إلى أهمية الأنشطة الرعوية وتربية المواشي في جبال تطل فيها الأراضي الزراعية، ويتطلب فيها ما وُجد منها جهداً كبيراً ومستمراً، مع ضعف كبير في المردودية الزراعية. وتزداد أهمية هذه المراعي العليا بصفة خاصة، في عصور الأزمان المختلفة، التي يضطر معها سكان الجبل إلى عدم مد أنشطتهم الفلاحية في اتجاه السهول الشمالية - الغربية، والتي كانت تكون دوماً امتداداً طبيعياً لمجالهم الحيوي. تزداد أهميتها حينذاك فيقع عليها التهافت، مما يؤدي أحياناً إلى وقوع نزاعات بين المستفيدين. لهذا أحدثت طقوس وأعراف وعقود، تنظم استغلال هذه الأماكن الحيوية استغلالاً جماعياً، دون أن يؤدي ذلك إلى وقوع اختلافات قد تضر بالجميع.

اشتهرت كلمة «اكدال» عند سكان بعض المدن المغربية الكبرى على الخصوص، لأنها تطلق على البساتين السلطانية في كل من مراكش والرباط ومكناس. ورغم أن فاس لم تسم -على ما يبدو- بستانها السلطاني باسم «اكدال»، فإنه كان، رغم ذلك، موجوداً منذ عهد الموحدين: المصارة، على ما ذكره ابن أبي زرع في قرطاسه.

إن عادة أحداث البساتين الكبيرة، وتزويدها بالمياه الجارية، وبناء صهاريج كبيرة لسقيها، داخل أسوار المدينة أو بجوارها، مع إحاطتها بسور، ربما ظهرت لأول مرة بالمغرب في عاصمة المرابطين مراكش. ثم ترسخت واتخذت أبعاداً كبيرة في عهد الموحدين، وخاصة منهم الثلاثة الأوائل. أما في العهود الموالية، فقد عرفت هذه البساتين

فترات من الإهمال وأخرى من الاهتمام، حسب الظروف العامة وشخصية السلاطين. وأهم العهود التي تم فيها الاهتمام بها بعد الموحدين هي عهد المنصور السعدي والمولى إسماعيل ومحمد بن عبدالله والمولى عبدالرحمان وابنه محمد.

أما عن الفائدة المقصودة من إنجاز هذا النوع من الحقائق فمن المؤكد أنها متعددة الجوانب. فجانبا المصلحة الاقتصادية الأكيد وخاصة في أوقات الأزمات، هناك دورها في تلطيف الطقس خلال الفصول الحارة على وجه الخصوص. ثم الرغبة في توفير متنزهات للأعداد الكبيرة من حرم وحشم القصور السلطانية، بالإضافة إلى هيبة التميز التي تكسبها للحكام في عيون السكان والزائرين من الأجانب.

وفي الختام تجدر الإشارة إلى أن بساتين «أكغال» في الحواضر المشار إليها، تحولت مواقعها الأولى إلى أحياء سكنية، مع احتفاظها بالاسم. وإذا بقيت خضراء، كما هو الشأن في مراكش، فالأمر يتعلق بإضافات محدثة أو بجزء صغير من البستان الأصلي.

### المراجع :

- E. Laoust

- **Mots et choses berbères**, Paris, 1920, Rabat 1983, p. 260, 475.

- **L'Habitation chez les transhumants du Maroc central**, Paris, 1935, p.220 sqq.

- **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p. 45.

- J. Dresch,
  - «Documents sur les genres de vie de montagne dans le massif central du Grand-Atlas», **Commentaire**, Paris, 1941, pp. 18sq3.
- E. Destaing,
  - **Vocabulaire Français-Berbère**, Paris, 1920, p. 234.
- J. Berque,
  - **Maghreb histoire et société**, Alger, 1974 (Duculot S.N.E.D), pp. 11 sqq.
  - **Structures sociales du Haut Atlas**, Paris, 1955, pp. 108 sqq
- G. Deverdun,
  - **Marrakech, des origines à 1912**, Rabat, 1959, pp. 88, 194,195, 204, 243-244, 390 sq,491 sq, 522 sq, 527 sq.

(6) مجهول، الحلل الموشية، تحقيق هيل زكار وعبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 46، 145.

(7) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط، 1973، ص. 41. هامش 33، 407.

(8) محمد الصغير الوفراني، نزهة الحادي، تصحيح السيد هوداس، باريس 1888، الطبعة الثانية، الرباط، بدون تاريخ، ص. 112.

(9) الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج. 9 ص. 13، 115.

(10) محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق أحمد العماري، الرباط 1986، ص. 106.

(11) عبدالعزيز بنعبد لله، الموسوعة المغربية، المحمدية 1981، ج. 4، ص. 106.

## أَكْرَاوُ

«أَكْرَاوُ» (ج إِيكْرَاوُنْ) من الكلمات الأمازيغية المؤسسية التي لم ترد كثيراً في مصادرنا المكتوبة. ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى كونها استبدلت مبكراً بكلمات أخرى من أصل عربي هي: «الجماعة» أو «أيت ربّعين» أو «أيت العرف» أو «الديوان»<sup>(1)</sup>.

أقدم مصدر معروف يشير إلى هذه الكلمة هو كتاب أخبار المهدي (ق. 12م)، حيث وردت في العبارة التالية: «... فعمل لهم الخليفة [عبدالمومن بن علي] أَكْرَاوُ يعظهم فيه...»<sup>(2)</sup>. ويظهر من السياق أن اللفظ يعني هنا: المجلس/اللقاء/الاجتماع... قصد التذاكر والتفاوض والتشاور وتبادل الرأي.

وبهذا المعنى ذكره رويبر مونتاني، حيث قال: «إن الإمام المعصوم غالباً ما يجمع هو بنفسه أنصاره في «أَكْرَاوُ» -وهي كلمة تعني في مجموع المغرب الأمازيغي «جماعة» كل رجال قبيلة ما المؤسسة قصد التداول فيها بينهم»<sup>(3)</sup>.

وفي مكان آخر يشير نفس المؤلف إلى أنه حينما يحضر كل الرجال مداولات القرية أو «الخمس» أو القبيلة وهم حاملون السلاح، فإن المجلس في هذه الحالة يحمل اسم «أَكْرَاوُ»<sup>(4)</sup>. وهذا يعني أن الأمر هنا يتعلق بتجمع أزمة، لا باجتماع عادي لأعضاء الجماعة.

غير أن الرجوع إلى الأصل اللغوي للكلمة، يلقي أضواء كاشفة على أسرار مدلولها التاريخي، والمقاصد الأولى من المؤسسة التي كانت علماً لها .

لقد علق روبير مونتاني على كلمة «أَكْرَاو»، ذاكرًا أنها أمازيغية مأخوذة من الفعل «كُرُو» الذي يعني اجتمع، مضيفًا في الوقت ذاته أنها ترادف ما يسمى «أَجْمُوع» أو «الجماعة» في أماكن أخرى (5). ونفس الفعل يستعمل اليوم بمعنى جَمَعَ، التقط شيئًا معينًا كالزيتون وأرْكَانَ والحبوب... فالجمع والالتقاط ليسا هنا بالمعنى المطلق، لأن شرط الاختيار متضمَّن في الفعل.

وإذا رجعنا إلى المعجم، نلاحظ أنه بوضع أكثر المعاني المجردة التي تودبها مادة «إيكرُو» (= إيكرَا) التي اشتقت منها كلمة «أَكْرَاو» أو «تاكْرَاوت». ومن أبرز هذه المعاني ما يلي: التمييز مع المعرفة والفهم/القدرة على التمييز الدقيق بين الصحيح والخاطئ، بين الحسن والقبيح/القدرة على الحكم الصحيح على الأشياء/القدرة على تحقيق الأمور والأشياء، القدرة على الانتباه مع اليقظة الفكرية/التحلي بالجدية والأناة وملازمة التصرف الوقور... (6).

من كل ما سبق يمكن أن نستنتج إذن أن «أَكْرَاو» هو مجلس الجماعة الذي يتكون من أفراد مختارين لخصالهم الحميدة، يتكفون بتصرف الشؤون العامة على أحسن وجه.

## المصادر:

(1) انظر:

- R. Montagne, **Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, pp. 62, 175, 220, sq.
- H. Bruno, «Notes sur le Statut Coutumier des Berbères marocains», dans les **Archives Berbères**, vol 1, Fasc. 3, année 1915-1916, Paris 1996, pp. 135, sq.
- Id., «Introduction à l'étude du droit coutumier des berbères du Maroc central», dans les **Archives Berbères**, vol. 3, Fasc. 4, Année 1918, Paris 1918, pp. 306, sqq.

(2) أبو بكر الصنهاجي البيدق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليثي پروفانسال، باريس 1928، النص، ص. 95.

(3) مرجع السابق، ص. 62.

(4) المرجع السابق، ص. 175.

(5) المرجع السابق، ص. 175، تعليق رقم 1.

(6) انظر:

- Ch. Foucauld, **Dictionnaire Touareg- Français**, Imp. Nationale de France, 1951, p. 473.

## أَمْزَوَارٌ

«أَمْزَوَارٌ» في المفرد و«إِمَزَوَارِنٌ» في الجمع، كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «إِيزَوَارٌ» أو «إِيزُوورٌ»، الذي يعني: سبق/تقدم/ترأس. فـ «أَمْزَوَارٌ» إذن تعني: السابق أو الأول/المتقدم أو المقدم/الرئيس أو المترئس... في كل شيء ومن كل شيء، في الزمان والمكان، سواء تعلق الأمر بالإنسان أو الحيوان أو الجماد أو المعاني المجردة.

وهي التي نصادفها في المصادر المكتوبة بالعربية مرسومة هكذا: «مزوار» بحذف حرف «أ»، أو معربة أحيانا بإحلال لفظي «مقدم» أو «نقيب» محلها.

إن الانتشار الواسع لكلمة «أَمْزَوَارٌ» في المجال الأمازيغي، في مجموع شمال إفريقيا، دليل على قدمها، وقدم المؤسسات الجماعية التي وظفت فيها. وكلمة «أَمْزَوَارٌ» لا تظهر، على مستوى الجماعات المحلية أو التجمعات الدينية أو الحرفية، ككلمة محملة بمضامين السلطة المخيفة أو القهر الجائر، بل محملة بمضامين الحكمة والرزانة والهيبة. لأن «أَمْزَوَارٌ» في هذه الحالة، شخصية منبثقة من الجماعة وباختيارها. ووظيفته هي حماية المصالح العامة، ودرء كل ما يهدد وجود الجماعة وتماسكها وأمنها.

وهكذا نتعرف على الكلمة عند البيذق بمعنى «رئيس الفخذ أو القبيلة في نظام الموحدين»، ويميز بين «مَزْوَارٍ لِلْقِدَمِ أعني الموحدين الأصليين ومزوار للمضاف منهم، وهم المسمون بالغزاة» (ص.47).

وقد استعملت الكلمة في ما بعد، في مختلف العصور، وفي كل مناطق المغرب الكبير، لقبا لشخصيات احتلت مناصب عالية في أجهزة مختلف الدول المغاربية. كما تسمى بها أشخاص احتلوا مناصب دنيا من حيث الأهمية سواء على مستوى الإدارات المركزية أو المحلية.

وبقيت الكلمة بعد ذلك مستعملة، وتطلق على رئيس الجماعة التي يشرف على تسيير شؤون القرية أو «القبيلة»، والذي ينتخب أو يعين لمدة سنة من بين أعضاء الجماعة. كما تطلق أحيانا على شخص يطلب منه أن يكون أول من يدشن عملا هاما أو صعبا، تيمناً به واستجلابا للسعد والخير. وبهذا المعنى نلاحظ أنها تقترب كثيراً من لفظ «أنفلوس».

وإذا كان «أَمُوزَّرٌ» عند التاركيين (التوارگ) - وهي صيغة أخرى لـ «أَمَزْوَارٍ» - كممارس للسلطة، يكاد يرادف «أَمَغَارٌ»، فإنهما في نظرنا، يختلفان من حيث مصدر سلطة كل منهما، في البداية على الأقل. فالأول يستمدّها من إرادة الجماعة، والثاني يستمدّها من فرض إرادته.

لقد توارت بعض استعمالات كلمة «أَمَزْوَارٍ» في المجال التنظيمي ولكنها لا تزال حية في باقي المجالات الأخرى.

## المراجع :

- (1) أبو بكر الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تصحيح وترجمة إ. ليثي بروفانصال، باريس، 1928، ص. 41 وما بعدها، 47.
- Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, I.N.F., 1952, t. IV, p.1982, sq
  - E. Destaing, *Vocabulaire Français - Berbère*, Paris, 1920, p.229
  - E. Laoust, *Siwa*, Paris, 1932, t.I, p.244
  - R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 62, 134, 222
  - *Encyclopédie de l'Islam*, N.E., 1975, t.I, p.1214
  - *Encyclopédie Berbère*, Edisud, Aix-en-provence, 1987, IV, pp. 622, sqq.
- في هذا المرجع الأخير مقال هام تتبع فيه صاحبه تطور استعمالات كلمة «أمزوار» عند الدول المغاربية. كما أعطى بيبليوگرافيا موسعة جد مفيدة.

## أَمْفَارٌ

«أَمْفَارٌ» وجمعها «إِمْفَارُونَ» كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «إِمْفَقُورٌ»، وتعني الضخم أو الكبير أو العظيم أو الممن من الأشياء والأحياء، كما تعني المرء العالي الشأن والقدر والدرجة داخل مجتمعه وتطلق كذلك على الحاكم والرئيس وكل من يمارس سلطة ما في المجتمع ثم اقتصر إطلاقها على شيخ القرية أو الفرقة أو القبيلة.

وبهذا المعنى الأخير اكتسبت مدلولاً تاريخياً، ارتبط بتطور أوضاع المجتمعات الأمازيغية، الجبلية منها على الخصوص، على مستوى التنظيم السياسي والمجتمعي، بين التسيير الجماعي والديموقراطي، والهيمنة النخبوية الأوليغارشية والحكم الفردي الاستبدادي.

فإذا كانت كلمة «أَمْزَوَانٌ» مرتبطة بالتسيير الجماعي الديموقراطي الإنفلاسي - في أحسن الأحوال على أقل تقدير - فإن كلمة أمفار وثيقة الصلة بالنظام الأوليغارشي والاستبدادي في غالب الأحيان. وخاصة إذا كانت وظيفة «أَمْفَارٌ» مرتكزة أساساً على سلطة عليا كسلطة القائد أو العامل، لا على أسس التوازن المنبثقة من تعامل مختلفة الفعاليات المحلية، سواء على مستوى المجموعة التي يشرف عليها، أو على مستوى علاقاتها مع المجموعات الأخرى المجاورة.

ومع ذلك يبقى مشكل تحديد المعنى الدقيق للمدلول الوظيفي، مرتبط بالظروف الوقتية لكل حالة، وبطبيعة العلاقة بين «أَمْفَارٌ» الحاكم وجماعته هذه العلاقة التي تخضع بالضرورة لمتطلبات النسيج المجتمعي بكل أبعاده، داخل المجموعة ذاتها.

إن أقدم استعمال لكلمة «أَمْفَارٌ» في المصادر المكتوبة، حسب ما نعلم، ورد في كتاب أخبار المهدي للبيذق، الذي ذكر أن والد الإمام المهدي كان ينعت بها. ويبدو أن إطلاق لقب «أَمْفَارٌ» على أبيه، يعني أنه كان يمارس وظيفة المشيخة في قومه. والدليل البارز على ذلك هو أن الإمام المهدي نفسه «كان يلقب في صغره أيضا أمفاران»، وسمي أخوته «أيت أمفاران» أو بنو أمفاران. كما كان جده من أبيه يلقب بـ «أَكْلِيدٌ» ومعناها السلطان أو الأمير أو الملك.

إننا لا نعرف بدقة كيف ومتى تم تحول المجتمعات الجبلية من نظام «إينفلاس» و «أمزوار»، الذي يسود فيه نوع من الديمقراطية البسيطة إلى نظام مجالس النخبة أو «أيت اربعين» و «أَمْفَارٌ»، الذي تكون فيه القوة أساس الحكم. ثم إلى نظام «إيمفاران» الذي استغنى فيه عن المجالس الجماعية، وأصبح فيه الحكم فرديا يتوارث.

ولكننا نعرف أن الصراع بين الأنظمة المذكورة كان دائما متوقفاً، تغذيه الأزمات المختلفة، وتميل به الظروف نحو ترجيح كفة واحد منها. وبما أن الأزمات المقصودة كثيرة ومتوالية، لأن منها ما تسببه الطبيعة، ومنها ما ينتج عن السياسة المحلية أو المركزية، فإن ذلك الصراع اتسم بالحدة وطول المدة، بحيث لم يحسم في بعض المناطق الجبلية إلا في القرن العشرين. والحسم كان طبعاً لصالح «إيمفاران»، الذين أصبح

بعضهم قوادا يستمدون سلطتهم من دعم المخزن المركزي غير أن هذا الاتجاه بدأ يتغلب، على ما يبدو، قبل التاريخ المذكور. ويظهر ذلك بوضوح من خلال كتاب رحلة الوافد التي كتبها ابن شيخ زاوية تاسافت بوادي نفيس، في النصف الأول من القرن الثامن عشر. حيث يظهر وادي نفيس والمناطق المجاورة له موزعا على عدد كبير من «إيمغارن» الذين كانوا يمارسون الحكم في مناطقهم، بشكل يكاد يكون فرديا، لأن مجالس الجماعات لا تكاد نجد لها أثرا، في مجال تسيير شؤون المجموعات المختلفة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

إذا كان نظام «إيمغارن» حلقة متوسطة بين نظام الجماعات ونظام القواد، فإن ظهوره كان نتيجة للتطورات السياسية المحلية، في حين نلاحظ أن تحوله بعد ذلك إلى نظام القواد، ناتج عن السياسة المخزنية التي تفضل التعامل مع حكام أقوياء، يضمنون لها خضوع السكان وجمع ما ينوبهم من ضرائب.

ورغم أن وظيفة «أمغار» بقيت حية في ظل نظام القواد، فإن مدلولها الأول كمؤشر مجتمعي تغير كثيراً، واكتسبت معنى آخر يقتضي تحديدها ودمجها في إطار أجهزة الدولة المركزية.

### المراجع:

- أبو بكر الصنهاجي البيدق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تصحيح وترجمة أ. ليثي بروفانصال، باريس 1928، ص. 29، 30، 116، 118 وما بعده.

- الناصري (أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،  
الدار البيضاء، 1954، ج. II، ص. 76.
- بنعبدالله (عبدالعزیز)، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية،  
1981، ص. 124 وما بعدها.
- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, Imprimerie  
Nationale de France, 1952, t. III, p. 1235.
- Id. **Reconnaissance au Maroc**, Var, 1985, p. 91-92.
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 134, sqq.
- **Encyclopédie de l'Islam**, N.E., 1975, t. I, p.446, 1214, sq.
- **Encyclopédie Berbère**, Edisud, Aix-en-Provence, 1987, IV, p. 590-591.

## أَمْنُوكَالْ

«أَمْنُوكَالْ» وتجمع على «إِيْمَنُوكَالْنِ» (مؤنثها «تَامْنُوكَالْتِ»/«تَامْنُوكَالِيْنَ»، كلمة أمازيغية تستعمل عند التاركيين سكان منطقة الهُوْكَارْ، لتدل على الرئيس الأعلى الذي تعلق سلطته سلطة زمنية أخرى داخل مجتمعه. ويختار من العائلات المعروفة بالرئاسة، من قبل «إِيْمَغَارْنِ» أي من شيوخ كل المجموعات المكونة لفدرالية أو كونفدرالية ما.

يتم اختيار «أَمْنُوكَالْ» من بين مرشحين عديدين، من ذوي الحق في ارتقاء هذا المنصب، وهم عادة معروفو النسب. ولكن مقاييس أخرى تتدخل لترجح مرشحا على الآخرين. منها قوة الشخصية وامتانة الجسد وتوفر الشجاعة والكرم والتمتع باحترام الجماعة، نتيجة ما يتحلى به المرشح من مزايا أخلاقية ومهارة سياسية، وبقظة فكرية. ويمكن تحيته إذا تبين أنه لم يحترم شروط العقد الذي يربطه بشعبه، أو أنه عاجز عن القيام بمهامه أحسن قيام.

إن العقد المقصود هنا هو مجموع التقاليد والأعراف والقواعد الأخلاقية التي تتحكم في سلوك مجتمع «إِيْهْكَارْنِ» وتصوراته، وهو مجتمع من الرحل الصحراويين.

أما مهام «**أْمُنُوكَالٌ**» فتتلخص في القيام بدور التحكيم والقضاء في النزاعات والمخالفات، وبدور القائد في الحروب. فهو المسؤول الأول عن أمن شعبه وتماسكه وبقائه.

وقد اتسع الحقل الدلالي لكلمة «**أْمُنُوكَالٌ**» في ما بعد، فأصبحت تطلق على رئيس سياسي كالإمبراطور والملك والسلطان والأمير ورئيس القبيلة وكبار ضباط الجيش ورؤساء الإدارات المدنية، كما يتسمى بها كل شخص يتوفر على ثروة أو على مزايا أخلاقية أو فكرية أو جسمية. كما يلقب بها كل الأفراد المنتمين إلى أسرة «**إِيْمَانٌ**» بأجَارَ شمال شرق بلاد أهوكَارَ، سواء كانوا صغاراً أم كباراً، رجالاً أم نساء ولو لم تكن وضعيتهم المجتمعية تقتضي ذلك. وهذا راجع إلى كونهم يعتقد أن نبلهم يتحقق بالولادة، لأن أجدادهم البعداء كانوا - في نظرهم - أسبادا في منطقة الهوكار.

### المراجع:

- Ch. de Foucauld, Dictionnaire Touareg - Français, I.N.F., 1952, pp. 1207, 1213 -14.
- Encyclopédie de l'Islam, N.E., 1975, I., p. 445, 1214.
- Encyclopédie Berbère, Edisud, 1987, IV, pp. 581-589.

## أَيْتُ رُبْعَيْنِ

«أَيْتُ رُبْعَيْنِ» عبارة تطلق في مجموع المغرب الناطق بالأمازيغية على مجلس «القبيلة»، الذي يكون المؤسسة الأساسية في الجمهوريات الجبلية المستقلة. ويختلف عن «لُجْمَاعَتُ» أو جماعة القرية بكون هذه الأخيرة تضم جميع ممثلي عائلات القرية، في حين لا يضم مجلس «أَيْتُ رُبْعَيْنِ» إلا ممثلا واحدا عن كل فرقة أو «إِيْحْصُ» أو عن كل قرية أحيانا. هذا من الناحية المبدئية، أما من الناحية العملية، فيبدو أن العضو الممثل في مجلس «أَيْتُ رُبْعَيْنِ»، يكون عادة من الموسرين والمحنكين سياسيا ومن القادرين على تناول الكلام بحذق أثناء اجتماعات المجلس.

ومع أن عبارة «أَيْتُ رُبْعَيْنِ» مستعملة بالمعنى المذكور في كل الجبال المغربية، فإن أصلها غير معروف بالضبط. وقد اقترح بعض الباحثين تفسيراً لهذه المسألة يمكن قبوله مؤقتاً. هذا التفسير يمكن تلخيصه كما يلي: لقد أطلق هذا الاسم على تلك المجالس لأن عدد الأعضاء المكونين لها كان أربعين عضواً، ثم احتفظ بالاسم بعد ذلك دون أن تكون المؤسسة التي يطلق عليها مكونة من العدد المبدئي، وبالفعل فإن عدد أعضاء هذه المجالس لم يكن يصل إلى أربعين في الفترات الأخيرة المعروفة.

والشيء الذي يرجح التفسير السابق هو أن الموحديين كانوا يميزون المجالس بعدد المكونين لها، فكان لديهم مجلس العشرة «أيت مَراو» ومجلس الخمسين...

كما أن العبارة قد تكون بديلاً غريباً لمجلس «إينفلاس» التي تستعمل محلها في كلام الناس لأن أعضاء مجلس «أيت ريعين» يعرفون عند الناس باسم «إينفلاس» وذلك حتى الأمس القريب.

#### المراجع :

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 220-221.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p. 130.
- عبدالمزيب بنعبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج. 4، مطبعة فضالة-المحمدية، 1981، ص. 19-20، 182 .

## إيكرامن

«إيكرامن» هي صيغة الجمع لكلمة «أكرام»، التي تعني في الاستعمال الأمازيغي الولي الصالح. كما تطلق تجاوزا على أبنائه وحفدته بصفة عامة.

إننا لا نعرف - في الحالة الحاضرة لمعارفنا - الأصل اللغوي للكلمة، ومع ذلك فإن الناس لا يزالون يتداولون فعلا له علاقة مؤكدة بها، هذا الفعل هو «إيكرام» أي حلق «أكرام» أو الولي رأس الطفل - ذكر أو أنثى - بشكل خاص، أو قص شعره بنفس الشكل. وبالفعل فإن الآباء كانوا، حتى وقت قريب، يذهبون بمولودهم - بعد أربعين يوما من مولده - إلى ولي يختارونه ليحلق له رأسه لأول مرة. وفي هذه الحالة لا تكون الحلاقة كاملة، بل تُترك خصل من الشعر، تختلف من حيث العدد والشكل، حسب عادة كل «أكرام». ويحترم ذلك النموذج إلى أن يبلغ الطفل سنا معينة، إذ فقط يمكن تغييره إلى الشكل العادي.

إن فئة «إيكرامن» في المجتمع المغربي القروي بوجه خاص، تحتل مكانة خاصة، نظراً لأهمية دورها المجتمعي وخطورته. هذا الدور الذي أفرزه مجتمع مهدد باستمرار في موارده الاقتصادية والبشرية، نظرا لتواتر الكوارث الطبيعية، ومضطر، نتيجة لذلك، إلى التحرك الدائم، والتدافع الحتمي، في اتجاه المناطق التي تكون أكثر خصبا،

وغير مستقر سياسيا نظرا لانعدام سلطة زمنية قوية، قادرة على التحكم الكامل في كل أجزاء البلاد. وضبط شؤونها، ومصاب بخوف مزمن ومزدوج: من سخط الطبيعة الملموسة والمستترة، ومن غارة الإنسان المجاور المههد باستمرار في كيانه.

إن دور «إيكرامن» هذا يمكن تحديده في أمرين اثنين: أحدهما هو ما يتكلفون به الناس من حماية لهم ولأبنائهم وأموالهم ضد كل قوى الشر المرئية منها وغير المرئية، وما يجلبه رضاهم على الناس من بركة في الأموال وصحة في الأبدان.

وثانيهما ما يضطلعون به من مهام التحكيم سواء بين الأفراد أو بين الجماعات، في حالة نشوب نزاعات أو صراعات، وما تكتسبه أضرحتهم، بعد مماتهم، من قدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد، وبالمنازعات الجنية، وكثيرا ما تكون مزارات تتعقد حولها مواسم سنوية لا تخفى أهميتها الاقتصادية.

ولكي نعطي فكرة عن أهمية دور «إيكرامن» في المجتمع المغربي القديم، نورد فقرة من دوحة الناشر، وردت في ترجمة أبي عبدالله محمد بن مبارك الأفاوي: «... وكان إذا هاجت فتن القبائل، يبحث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت، وصار ذلك من الأمر المتعارف عند البعيد والقريب. ثم إنه وضع أياما معلومة في كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن مبارك، لا يحمل فيها أحد سلاحا، ولا يقدر أحد على المشاجرة فيها، ويجمع الرجل مع قابل أبيه وولده وما يقدر أن يكلمه وذلك شائع عند قبائل العرب والبربر من أهل سوس وبلاد القبلة (...). ومناقبه كثيرة لا تحصى، وهو الذي أمر

قبائل سوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أبي العباس أحمد وأخيه أبي عبدالله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد، وكان من أمرهما ما هو معلوم...».

### المراجع :

- ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، تحقيق محمد حجي، الرباط، 1977.
- G. Surdon, **Esquisses de droit coutumier berbère marocain**, Rabat, 1928, pp. 91 sqq.
- E. Laoust, **Mots et choses Berbères**, Paris, 1920, (Rabat 1983), pp. 142 sq, 315.
- E. Dermenghem, **Le culte des saints dans l'Islam maghrébin**, Paris, 1954, pp. 162 sqq
- J. Berque, **Structures sociales du Haut-Atlas**, Paris, 1955, pp. 249 sqq., 434-435.
- A. Bel, **La religion musulmane en Berbérie**, Paris, 1938, Tome I, pp. 341sqq.

## إينفلاسْ

«إينفلاسْ» هي صيغة الجمع لكلمة «أنفلوسْ» وهي نفس الكلمة التي ينطهها التاركيون (توارگ)، «أنافلاسْ» ويجمعونها على «إينافلاسْ». وتعني في اللغة الأمازيغية بصفة عامة: الإنسان الذي لديه استعداد ليثق/ الذي يثق في نفسه/ الذي يوثق به/ الإنسان الثقة/ الذي يوحي بالثقة...

وصيغة الفعل من المادة هي «إيفلَسْ». وتستعمل عادة للتعبير عن أي نوع من أنواع الإيمان، وعن أي شكل من أشكال الثقة. كالإيمان بالله والثقة به أو بالإنسان أو بأي شيء آخر<sup>(1)</sup>.

وتستعمل الكلمة كذلك في الأمازيغية المعاصرة، في الجنوب الغربي للمغرب، للدلالة على الإنسان الذكي الماهر، واللبق الفصيح ذي الرأي السديد، والعارف لتقاليد الجماعة أو «القبيلة» التي ينتمي إليها، والعاقل في أحكامه وفي سلوكه الخاص مع الناس<sup>(2)</sup>.

أما عن المجال الجغرافي الذي تستعمل فيه الكلمة فإنه يقتصر، حسب ما نعرفه الآن، على الجنوب المغربي الغربي. أي جنوب الخط الممتد من الصويرة إنتيفتْ أو نتيْفَة ماراً بمراكش، وغرب الخط الواصل بين نتيْفَة وزاگورة ومجرى وادي درعة. وهذه المنطقة تضم الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير<sup>(3)</sup>.

وإذا كان اللفظ يختلف، فإن مدلوله، كممارسة مجتمعية، يوجد في أماكن أخرى من المغرب الأمازيغي. وهكذا نجد كلمات: **أَمْزَوَارْ/إِيْمَزَوَارْنْ**؛ **أَمَاسَايْ/إِيْمَاسَايْنْ**، **أَيْتْ رَبْعِيْن**، **أَمْسَلَايْ/إِيْمْسَلَايْنْ**، **أَمِين/أَمْنَاء...** التي تتضمن معنى من معاني كلمة «**أَنْفُلُوسْ**» المشار إليها سابقاً. وكيفما كان الأمر، فكلها تدل على الأشخاص الذين يتحملون المسؤولية في إطار التنظيم الجماعي الذي كان سائداً في المجتمعات الجبلية على الخصوص، وأعضاء الجماعة كما هو معروف، يحملون اسم **إِيْنْفَلَّاسْ** في الجنوب الغربي للمغرب (4).

إن الحقل الدلالي لكلمة «**أَنْفُلُوسْ**» يتضمن إذن شقين كبيرين: أولهما ديني متغلغل في القدم، والآخر دنيوي متأخر نسبياً. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمر لا يتعلق في هذه الحالة بتغيير تام للمعنى الأول، بل بانزلاق غير ناتج عن تغير في طبيعة المسمى. ولكنه ناتج عن تغير في المعتقدات الدينية، جرّ تحولا احتياليا في مهام المسمى. وفي معنى اللفظ الدال عليها.

ولكي يكون ما ذكرناه أعلاه أكثر وضوحاً، نقول: إن لفظ **إِنْفُلُوسْ** ربما كان يطلق في عهد الديانات الزراعية على أناس يُعتقد أنهم يتوفرون على قوة سحرية أو خارقة، تجر الخير والفوز على المتبركين بهم. ومع انتشار الديانة الإسلامية – وربما قبل ذلك في المناطق التي عرفت اليهودية والمسيحية – بقيت فئة **إِيْنْفَلَّاسْ** موجودة، ولكن العقلية الجماعية عملت تدريجياً على طمس جوانب من مهامهم تكشف العلاقة الصريحة بالديانات الزراعية، نظراً لكونها تتنافى مع الديانة الجديدة. في حين كيفت جوانب أخرى منها مع ما تقتضيه المعايير الطارئة. أو احتفظت بها كما هي ما دامت لا تشير انتباه أحد.

هذه المثاقفة على مستوى المعتقدات، هي التي أدت -من بين عوامل أخرى- إلى إحلال كلمات محل أخرى، أو إعطاء معاني جديدة لألفاظ قديمة كلما دعت الضرورة إلى ذلك (5).

لقد وردت في بعض كتب النوازل المتأخرة إشارات قليلة، تدل على وجود مجالس **إينفلاس** في جبال **دُرُن** ومنطقة سوس بصفة خاصة. وأقدم هذه الإشارات ترجع إلى القرن الرابع عشر (6). ويبدو أن القرن السادس عشر شهد تفاقم الظاهرة، واتسعت أكثر في القرن السابع عشر (7). وقد وردت كلمة «النفاليس» في أجوبة قاضي الجماعة عيسى ابن عبدالرحمان الكتاني (ت 1661) (8). كما وردت في السؤال المعروف الذي استفتى به يحيى بن عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم الحاحي (ت 1625) فقهاء الوقت، والذي ابتدأه هكذا: «... جوابكم لله تعالى فيما يفعله بعض أهل البادية، أهل الجبال منهم، من أنهم يجتمعون عن آخره ويعملون منهم أهل الحل والعقد، ويقولون لهم **إينفلاس**. ويسميه بعضهم الضمان، ويصدر الاتفاق منهم على ضوابط ومصالح عندهم...» وقد عرف محمد حجي بمهمة **إينفلاس** في العبارة الآتية: «... بينما يتولى **إينفلاس** الفصل في الجنايات وبعض القضايا المدنية كأحداث الأسواق من غش وتطفيف في الكيل والميزان بحسب ما في الألواح، وأحكامهم لا تقبل الاستئناف. كما يتولون تنفيذ ما يقضي به الفقهاء المحكمون» (9).

غير أن الدراسات الأوربية المعاصرة، أعطت تعريفات أوسع لوظيفة **إينفلاس**. فإميل لاووست E. Laoust مثلاً يعتقد أن **أنفوس** وأمزوار اللذين يعتبرهما كثير من المؤلفين المعاصرين مباركين يُتيمن بهما، ليس إلا امتداد لسلسة السحرة والكهنة والملوك الزراعيين

(les rois agraires) الذين كانت ممارساتهم السحرية أو السحرية الدينية تضمن رفاهية العشيرة (clan) وحياتها. كما يعتبر أن فرضيته هذه ثاقبة نظراً لكثرة عدد أفراد الفئة المذكورة. وقد ذهب بعيداً حين زعم أن كثيراً ممن يدعون الشرف من الأمازيغ، قد لا يكونون في الأصل إلا ورثة إينفلاس وإيمزوارن<sup>(10)</sup>.

وذكر كذلك أن هناك أنواعاً من إينفلاس منهم :

- أَنْفُلُوسَنَّ- تَبْيُوكَا، وهو الذي يفتح عملية الحرث؛

- أَنْفُلُوسَنَّ- لِيَارُوضَنَّ، ويُعتقد أنه لا توديه ضربات العدو، وأنه يحمي المحاربين، وهو الذي يحمل العلم، ويطلق أول طلقة عند بداية المعركة؛

- أَنْفُلُوسَنَّ- عُمُودُو، يصاحبه الناس في أسفارهم تيمناً به؛

- أَنْفُلُوسَنَّ- لَهْدَرْتُ، يفتح حلقات أحواش في الحفلات الجماعية، بنقر على الدف قبل غيره<sup>(11)</sup>.

وقد أضاف روبيير لمونتاني R. Montagne نوعين آخرين هما: أَنْفُلُوسَنَّ- لُخَيْرَ أو الرجل الميمون، وأَنْفُلُوسَنَّ- تَسْهَيْلَ أي الذي تتيسر على يديه الأمور. وأورد في نفس الوقت تفاصيل لاحظها مشاهدة أو جمعها عن طريق الرواية الشفوية، تتعلق بالممارسات المجتمعية المرتبطة بـ «مؤسسة» إينفلاس، وإشارات إلى مناطق وجودها في الجنوب الغربي من المغرب<sup>(12)</sup>.

وهكذا نرى أن كلمة «أَنْفُلُوسَنَّ» من الكلمات التي بقيت حية، مع تعديل اضطراري في معناها الأول. ويلاحظ اليوم أن معناها الثاني بدأ - هو بدوره - في الأفول، نظراً لكون المؤسسة المجتمعية التي يتجسد

فيها انحلت منذ زمان قبل أن تتقرض نهائيا في الوقت الحاضر<sup>(13)</sup>. ونتيجة لذلك تقلص مجال استعمال كلمة «أنفلوس» ليصبح فقط اسم شخص أو عائلة، لا يمارسون بالضرورة الوظيفة الأصلية التي كانت تبرر وجودها.

### المصادر:

(1) انظر:

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, Imprimerie Nationale de France, 1951, Tome 1er , pp. 328, sq.

(2) هذه المعاني استفدناها من رواية شفوية سجلناها في بداية السبعينات بأيت سمك في سوس الأعلى.

انظر كذلك :

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, pp. 221, sqq.

(3) انظر روبير مونتاني، المرجع السابق، ص. 217 وما بعدها، وكذلك :

- E. Laoust, **Mots et choses berbères**, Paris, 1920, Société Marocaine d'Édition à Rabat, (collection «Calques»), 1983, p. 313-314.

(4) انظر المرجعين السابقين مباشرة، عند الصفحات المذكورة. وانظر كذلك :

- H. Bruno, «Notes sur le statut coutumier des Berbères marocains», dans les **Archives Berbères**, vol. 1, Fasc. 3 année 1915-1916, Paris, 1916, pp. 135, sqq.

- Id. «Introduction à l'étude du droit coutumier des Berbères du Maroc Central, dans **Les Archives Berbères**, vol.3, Fasc. 4, année 1918, Paris 1918, pp. 297, sqq.

(5) انظر:

- J. Berque, **Structure sociale du Haut-Atlas**, Paris, 1955, pp. 374, sqq. 386, sqq.

(6) انظر محمد المنوني، التيارات الفكرية في المغرب المريني، فصلة من مجلة «الثقافة المغربية»، العدد5، ص. 47.

(7) انظر محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الجزء الأول. مطبعة فضالة 1977، ص. 298، وما بعدها

(8) مخطوط الخزنة العامة بالرياض، رقم ج. 1257، ص. 87 .

(9) من نسخة مخطوطة عثرنا عليها عام 1971 في جبل إينكوان أو كساون قابل مع محمد حجي، المرجع السابق، ص. 300 بعدها.

(10) المرجع السابق، ص. 288.

(11) المرجع السابق، ص. 313 وما بعدها.

(12) المرجع السابق، ص. 130 وما بعدها، 200، 221 وما بعده؛ كما ذكر كذلك

إينفلاس ن- وامان وهم الذين يسهرون على تنظيم دورات مياه السقي، نفسه، ص. 220.

(13) انظر:

- R. Montagne, «L'Aghbar et les Hautes vallées du Grand-Atlas», dans **Hespéris**, Tome VII, Année 1927, 1<sup>er</sup> Trimestre, pp. 13, sq.

## تَاخَكَّات

«تَاخَكَّات» والأصح هو أن تنطق «تَاخَكَّوَات» كلمة تستعمل لدى سكان الأطلس الصغير الغربي اسماً لواحد من الحزبين المتعارضين اللذين كانا يقسمان سكان المنطقة. أما الحزب المقابل له، فكان يحمل اسم «تَاكُوزُولْت».

تَاخَكَّوَات، وتجمع قياساً على «تِيخَكَّوَاتِين» كلمة يصعب تحديد أصلها اللغوي الآن. وقد ذهب المختار السوسي في الإلغيات إلى الافتراض القائل بأنها «مأخوذة من اسم أسرة ينتبون إليها. فإننا لا نزال نعرف من أسماء النساء (حكة) [تقرأ حَكَّوَا] فربما كان ذلك نسبة إلى جدة لبعض القبائل التي سبقت إلى الاقتحام إلى سوس ثم جر ذلك الذيل على القبائل التي تبعتها إلى سوس سكانا آخرين من الشلحيين ليسوا من صميم الجزوليين...».

والجدير بالذكر أن كلمة «حَكَّوَا» هي الصيغة الأمازيغية لـ «حواء». وقد تكون نسبتهم إلى اسم امرأة من قبل أعدائهم، وفي هذه الحالة يكون قصدهم من ذلك هو احتقارهم أو التنقيص من مقدرتهم ورجولتهم وشجاعتهم.... وربما كان هذا هو السبب الذي جعلهم يخفون حقيقة انتمائهم، ويستعملون ليتعارفوا فيما بينهم رموزاً سرية لا يعرفها غيرهم بسهولة.

غير أن حالة الضعف هذه والتي انتهى إليها المنتمون إلى نزعة تاحكاتٍ قد لا تكون إلا آخر صورة وصلتنا عنهم عن طريق الرواية الشفوية أو الواقع المعايين والذي حالت عوامل أخرى دون تغييره. وبذلك، أصبح ما كان خليقا بأن لا يكون إلا وضعية مرحلية، حالا مقيما يوهم بأنه ديمومة قديمة.

وبالفعل، يبدو أن «نحلة» تاحكاتٍ - كما يسميها المختار السوسي - لم تضعف قوتها. وتراجع سمعتها إلا بعد القرن السابع عشر. أي بعد أن تحالفت نحلة «تاكوزولت» المناهضة لها مع أسرة بودميعة الإيليغية، التي تبنت رموز المشروعية السياسية وركبتها وأسست الأمانة التزروالتية المعروفة.

هذا الانحراف - المفروض ظرفيا - على القواعد اللغوية الداخلية المعروفة، سهل انتصار نحلة تاكوزولت على نحلة تاحكات، وهذا الانتصار أتاح الفرصة لیسود خطاب المنتصرين في وقت تدخلت فيه عوامل أخرى لتفسد اللعبة اللغوية من أساسها. وأخذت الصورة الأخيرة، وبقيت دليلا وحيدا نشاهده ونعتمده مرجعا بخصوص النتيجة الأخيرة للصراع بين النزعتين: تاحكات وتاكوزولت.

أما عن أصل هذا الانقسام الثنائي، فقد كتب عنه المختار السوسي في الجزء الثالث من الألفيات ما يلي: «ولكن الذي يهم الباحث أن يعرفه هو معرفة الوقت الذي ابتداء فيه هذا الانقسام بين هذه القبائل، وكثيرا ما كنت أمعن النظر في مبدأ هذين الحزبين، وأنقب وأسأل عن السبب الخاص حتى تبين لي حدساً - فقط - أن السبب هو الوباء الواقع في القرن الثامن الهجري 749هـ [1348]م، فإنه طاعون

جارف، ترك غالب شمال افريقية - مثل أوروبا - قاعاً صنفصفاً. فكم مكان مأهول بالسكان، أصبح في القرن الذي بعده خراباً يباباً لا أحد فيه وهذا بنفسه وقع في سوس. فإن في بعض جبال جزولة بعض أودية مأهولة أمست قفرا بلقعا...».

وبعد أن ذكر بأن سكان الجبال الوليتية الأصليين ينتمون إلى الشعب الجزولي، وأن الطاعون ذهب بكثير منهم في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أضاف قائلاً: «إن القبائل التي تحمل سمة تاحكات أصالة كالمرايطين [أيتٌ أومرييضٌ] سكان ما حوالي مركز (قم الحصن) الرسمي الآن. لا نزال نوقن أن أصلها الأصيل كان من الصحراء ثم دخلت هذه البلاد، وكذلك قبائل حرييل وسككتانة وما أكثر أمثالها بين قبائل تاحكات. ونرى أن وقت دخولها لهذه البلاد كان في هذا الوقت، يوم تشخر هذه البلاد من وقع ذلك الطاعون الجارف...».

هكذا يتبين أن أصل الانقسام حسب ما ذهب إليه المختار السوسي هو الصراع بين الأصليين والطارئين، وأن زمن ابتدائه هو منتصف القرن الرابع عشر الميلادي الذي شهد من جهة الطاعون الأسود الذي أودى بحياة كثير من الجزوليين، وبداية اقتحام قبائل أمازيغية من أصل صحراوي لبلادهم تحت ضغط قبائل بني هلال الصحراوية من جهة أخرى.

إن العذر الوحيد الذي يمكن أن يلتمس للمرحوم المختار السوسي بخصوص هذا الموضوع هو أنه اقتصر في حديثه عن ظاهرة الانقسام الثنائي على منطقة واحدة هي الجنوب الغربي. وتحفظ العلماء فيما ظنه -حدسا فقط- أنه هو التفسير الموضوعي لظاهرة نحلتي

تأحركات وتاكوزولت. ذلك لأن مسألة التحزب الثنائي في تاريخ المغرب وشمال إفريقيا عامة، مسألة متشعبة والحديث عنها لا يزال في بدايته. ونتيجة لذلك فإن فهمها وتفسيرها بشكل شمولي لا يتأتى في الحالة الحاضرة نظرا لقصور معارفنا التاريخية عن تحقيق ذلك.

وبدون أن ندخل في مناقشة كل جوانب الموضوع التي تطرح تساؤلات جدية، نورد فقط بعض الملاحظات التي يمكن أن تعتمد لتعميق البحث حول الظاهرة اللغوية بصفة عامة وفي منطقة الأطلس الصغير ووادي درعة بصفة خاصة.

– إن نحلة تأحركات لا تحمل نفس الاسم في المنطقة المذكورة، وقد لاحظ المختار السوسي نفسه ذلك. فهي تأحركات (تازروالت) أو تاكتيت (سكتانة) أو محبوب (درعة).

وينطبق الشيء نفسه على النحلة المقابلة لها أي تاكوزولت. وكلما اتسعت الدائرة جغرافيا كلما تنوعت الأسماء، رغم أن الشعور بالإنتماء إلى هذه النحلة أو تلك موجود حتى بين مجموعات بشرية متناهية.

ومما يعقد المسألة أكثر، ويجعل تطورها التاريخي أصعب ما لوحظ من وجود إمكانية تغيير الانتماء من حزب لآخر حسب المصلحة وميزان القوى.

– إن الأسباب الموضوعية التي اعتمدها المختار السوسي لتحديد أصل تكوين النحلتين في المنطقة أسباب دورية لا تقتصر على زمان ولا على مكان معينين. فالطاعون الأسود لم يصب المنطقة المذكورة وحدها، ولم يكن هو الوياء الوحيد الذي اجتاحتها عبر تاريخها

الطويل، وشعب جزولة لم يكن هو الوحيد الذي طرقها آتيا من الصحراء، أو من ما قبل الصحراء. ثم إن الانقسام الشائي لا يقتصر على الجنوب فقط، بل يشمل المغرب كله أو معظمه.

- إن ظاهرة التحزب الشائي قديمة جدا، وهذه نتيجة منطقية لما سبق، كما أن التاريخ يثبت ذلك ولو بإشارات سريعة ومتفرقة. ثم إن الرواية الشفوية التي لا تزال رائجة حول أصل الظاهرة لا تقتصر على تفسير واحد، بل تقدم لنا تفاسير متنوعة ومن بينها التي تقول بأن أصل هذه الثنائية هو الصراع المعروف بين بني آدم.

- إن الظاهرة، رغم قدمها، لم تتخذ مظهرا جامداً يجعلها قابلة للتجاوز، بل استمرت كمؤسسة ضرورية لتحقيق التوازن الذي لا بد منه بين مجموعات بشرية كبيرة الانتشار تعيش طليقة لا تخضع لحكم مركزي يضمن التوازن المنشود. لذلك نجدها تتلون بلون العصر وتخضع للحاجيات المحلية، وتجدد دوما تأويلها لنفسها. وكل هذا لا يضر بوجودها كمؤسسة تاريخية فعالة طوال قرون مديدة.

- لهذه الأسباب الأخيرة ربما أمكننا أن نفهم تعدد الإمكانيات التأويلية الواردة بخصوص الظاهرة، سواء من خلال الرواية الشفوية أو من خلال أعمال الباحثين المهتمين. ففي منطقة سوس مثلا، إذا اقتصرنا فقط على العهد الإسلامي، نجد التأويلات الواردة هي هذه:

الصراع بين الرحل والمستقرين؛

- الصراع بين باشري الإسلام الآتين من بعيد وسكان المنطقة

الوثنيين؛

- الصراع بين الشرفاء الأدارسة والعلويين؛

– الصراع بين أهل السنة والشيعة

– الصراع بين تاكوزولت المرابطية وتاحكات وتاسكيت

الموحديتين؛

– الصراع بين تاكوزولت أنصار بودميعة وتاحكات أنصار

يحيى الحاحي...

هذه الاحتمالات التأويلية كلها واردة، وليست متخيلة. ويبدو أنها حقيقية تاريخيا. ويمكن اعتبارها من باب إخضاع الطرفية التاريخية المتجددة لمقاييس مؤسسة نموذجية قديمة. وهذا في نظري هو المفتاح الذي ينبغي استعماله لولوج رحاب تاريخية لا تزال منغلقة.

– إن الدور التاريخي لنحلتى تاحكات وتاكوزولت – ولما

يقابلها من نحل في مناطق أخرى من المغرب – لا يقتصر على تحقيق التوازن بين المجتمعات المحلية المتجاورة فحسب، بل يتجلى كذلك في خلق جو من التوتر الدائم بين الطرفين يحول دون وقوع المصادمة الفعلية. وإذا وقعت هذه فلأن التوازن القائم يكون قد اختل بسبب أو لآخر. وإذا تمت الغلبة للقوي على الضعيف فإنها قلما تكون دائمة لأن امكانية تجاوزها موجودة، إما بمساعدة الحلفاء أو بتدخل قوة خارجية. وفي مثل هذه الحالة الأخيرة يتمكن المخزن المركزي عادة من تسريب نفوذه إلى مناطق ما كان ليتوصل إليها بوسائل أخرى. ولهذا نلاحظ أن المخزن كان دائما يحاول استعمال الصراعات اللفية لحماية مصالحه وتوسيع مجال سلطته. وقد يكون تدخله هذا بطريقة غير مباشرة كأن يساند سلطة محلية موالية له تكفل له القيام بدور المراقب والجابي.

هكذا، يتبين لنا أن الانقسام الثنائي ساهم بحظ وافر في حماية المجتمعات الطليقة من هيمنة السلطة، ولكنه كان كذلك - في فترات ضعفه - عاملاً من عوامل اندماج أحد المجتمعات في النظام المخزني المركزي. وقد يقع اندماج أحد الطرفين في جهاز سلطة مركزية ما في فترة من فترات قوته وبمحض إرادته كما وقع مثلاً بالنسبة إلى تاكوزولت والسعديين.

من هم المنتمون إلى نحلة تاحكات؟

لقد اكتفى المرحوم محمد المختار السوسي بالإشارة إلى أسماء بعض «القبائل» التي تنتمي إلى تاحكات، وهذا مما يؤسف له، لأنه كان في موقع يسهل عليه إحصاء كل المجموعات التي تنتمي إلى هاته أو تلك من النحلتين.

وقد أغلق هذا الباب بقوله: «وأما تعيين القبائل التي كانت تعتنق هذه النحلة أو تلك النحلة، فأمر يسهل على كل باحث أن يحصل عليه، ومن القريب جداً وضع سلسلتين لقبائل كل نحلة من وادي نون إلى درعة. لمن أراد أن يستوفي الموضوع وأن يؤديه حقه بإسهاب وتتبع...».

غير أن «روبير مونتاني» في كتابه **البرير والمخزن** المكتوب بالفرنسية، أعطى لائحة بأسماء كل القبائل المنتمية لكل نحلة، لكن فيها بعض النقص، وبعض التناقض بين ما أورده هو وما أورده المختار السوسي.

فالتى أشار إليها المختار السوسي هي: أيت أو مريبض وحريل وسكتانة وإداوابعيل»

أما التي ذكرها روبيير مونتاني فهي: إيفران وأيت برايم وإيدأوباعقيل وأيت تيزنيت وأيت حرار وأملن وأيت أومانوز وأيت عبدالله وإيسافن وأيت وادريم وأيت مزال وأشتوكن (هشتوكه) وإيسندالن وإيدأككيضف.

والجدير بالذكر أن «قبيلة» «سكتانة» التي اتخذ منها اسم نحلة تاسكتيت التي تعتبر هي وتاحكات شيئا واحدا، ليست كلها حسب «روبير مونتاني» لفا واحدا كما قد يتبادر إلى الذهن بل تنقسم على نفسها إلى حزبين متعارضين. وهذا دليل على أن الانقسام الثنائي لا يعتمد القليلة أساسا للتمييز الحزبي، بل تتحكم فيه قواعد أخرى لن يتم بعد الكشف عنها، وستبقى «رقعة الشطرنج» التي شبه بها «روبير مونتاني» صورة انتشار الجماعات المنتمية لكل حزب على الفضاء الجغرافي، مبهمة المضمون وغريبة الشكل.

### المراجع :

- البكري، المغرب (1965)، ص. 157 .
- الإدريسي، نزهة (1957)، ص. 39 .
- البيذق، أخبار المهدي، (1928)، ص. 41، 43 .
- المختار السوسي، خلال جزولة، ج 3، ص. 93-94، 20؛ ج 4 ص 9.
- المختار السوسي، خلال جزولة، ج 3، ص. 166 وما بعدها .
- المختار السوسي، إيليج قديما وحديثا، (1966)، ص. 238 وما بعدها، 57 .

- R Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, (1930), pp. 182 sqq, 201 sqq.
- C. Justinard, «Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle», (1933), pp. 59-72 sqq et passim .
- B. Rosenberger, «Tamdult», in **Hespéris**, (1970), pp.105, 127. 129, 131, 133, 134.
- J. Berque, **Structures sociales du Haut- Atlas**, (1955), pp. 224 sqq.
- التقي العلوي، أصول المغاربة، البحث العلمي، العدد 27، (1977)، ص.231 وما بعدها .

## تَارْكَا

« تَارْكَا » في المفرد و« تِيرْكَيُو » أو « تِيرْكَوِين » هي الجمع . هي كلمة أمازيغية تعني « الساقية » الكبيرة التي شقها الإنسان لجر المياه، وقد تطلق كذلك في بعض المناطق الصحراوية على الجداول الطبيعية التي لا تجري فيها المياه إلا عند نزول الأمطار .

والكلمة منتشرة انتشاراً واسعاً في المجال الأمازيغي بمعناها الحقيقي وكأسماء أعلام جغرافية وبشرية . فقد ذكر البكري أن بنواحي مسيلة الجزائر: «مدينة للأول خربة يقال لها تشليقة، فيها جدولان من ماء عذب جلبه الأول إليها يقال لها تارفا انوودي [تَارْكَا نْ - وُودي]، تفسيره ساقية السمن...». وقال صاحب الانتصار، نقلاً عن البكري: «ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، فليمشي من وادي درعة نحو خمسة مراحل إلى وادي ترجا [تَارْكَا] وهو في أول الصحراء...»، ومعنى هذا أن ما يسمى اليوم «الساقية الحمراء» هو ترجمة حرفية لاسمها الأصلي «تَارْكَا زُكَوَاغْن» .

والجدير بالذكر أن قرية تسمى «تَارْكَا نْ - عِيرْكَوَاغْن» توجد إلى اليوم قرب تافينكولت بعمالة تارودانت .

ويبدو أن التاركيين المعروفين بوسط الصحراء الكبرى، اكتسبوا اسمهم من اسم بلدهم الأصلي «تَارْكَا» الذي كان في منطقة فَرَّان

بليبيا . وعن هؤلاء كتب عبدالوهاب بن منصور مايلي: «تاركة بجيم بدوي إحدى قبائل الملتمين بالصحراء، والنسبة إليها تاركي، جمع تواركة وتوارگ، والاسم الأخير حرفه تراجمة الشرق إلى طوارق...».

وإذا أثرنا موضوع «تَارْكا» كمؤسسة اجتماعية ذات أهمية قصوى في حياة الجماعات المستقرة في كثير من أرجاء شمال إفريقيا، فإن ذلك لا يمكن أن يكون إلا إشارة سريعة إلى موضوع هام وشاسع يبدو أنه لم يحظ بعد باهتمام خاص من قبل الباحثين في مجال التاريخ الاجتماعي بالمغرب. إنه موضوع تاريخ الري بالمغرب والذي تعتبر فيه «تَارْكا» كموجود ملموس وكمؤسسة اجتماعية بالغة الأهمية في حياة الجماعة، عنصراً حساساً يعكس بما يثير حوله من أحداث وعلى المدى الطويل، التاريخ العميق للجماعات المتساكنة في مجالات حيوية قد تكون صغيرة أو قطاعية أو واسعة.

وإذا علمنا أن لكل «تَارْكا» في المغرب نظاما مقتنا، وتاريخاً قد تكرسه وثائق شفوية أو مكتوبة، اتفاقية أو صراعية أو قضائية أو دراسات معاصرة، فإننا سندرك أن القيام بدراسة هذا الموضوع شيء ممكن. وإذا تم ذلك على أحسن ما يرام فسيكون لا محالة خطوة ثابتة في سبيل تعميق البحث التاريخي في بلادنا .

## المراجع :

- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p. 58-59.
- البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق البارون دوسلان، باريس، 1965، ص. 59، 163 .
- مجهول، كتاب الاستبصار، نشر سعد زغلول عبدالحميد، الدار البيضاء، 1985، ص. 213 .
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, p.12.
- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg -Français**, 1951, t.II, p. 534, t.IV, p. 1588.
- عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط، 1968، ص.330.
- قارن مع عبدالعزيز بنعبدالله، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2، ص. 125 .

## تَاكُوزُولْتُ

«تَاكُوزُولْتُ» التي يمكن أن تترجم بـ "الجزولية" أو «النزعة الجزولية» أو «النجلة الجزولية» إسم عَلَم يطلق على «القبائل» السوسية التي كانت منتمية إلى الحزب الجزولي. والكلمة كما هو واضح مأخوذة من اسم الشعب المعروف تاريخياً ألا وهو "جزولة" أو "إيْكُوزُولْن". وكان الحزب المقابل لها في المنطقة يحمل اسم "تَاَحْكَاَت" أو «تَاَمْكُتَيْت» حسب الجهات داخل المنطقة نفسها. (انظر مادة تاحكات).

كان سكان سوس من وادي نون إلى جبل سيروان ومن وادي درعة الأوسط إلى وادي سوس منقسمين على هذين الحزبين المتنافسين انقساماً يكاد يكون متوازناً، الشيء الذي يوحى للباحث المتأمل بأن الهدف الجوهرى لهذا الانقسام "النصفي" هو تحقيق نوع من التوازن الدائم بين مختلف الجماعات الساكنة في المنطقة.

غير أن نشأة نجلة "تاكوزولت" التي تعرف عليها المعاصرون على أرض الواقع بدأت في رأي بعض المهتمين في القرن الرابع عشر الميلادي. وربط تلك النشأة بسبب موضوعي معروف تاريخياً هو الطاعون الأسود الذي أتى على نسبة كبيرة من السكان في المنطقة المذكورة وفي غيرها من النواحي.

ويذكر المختار السوسي الذي هو صاحب هذا الرأي أن الجزوليين هم السكان الأصليون في القسم الغربي من الأطلس الصغير، ونتيجة لذلك، فإن نحلة "تاكوزولت" هي التي تمثل هؤلاء السكان الذين قضى الطاعون الأسود على قسم منهم. أما النحلة المقابلة وهي «تاحكات» فإنها تمثل الطارثيين الذين استغلوا ضعف الأوائل وأخذوا يتسربون إلى بلادهم ويحتلون ما أمكنهم منها. ومن هنا تولد النزاع بين الحزبين غير أن هناك رأياً آخر يناقض هذا يقول: «ومما يلاحظ أن لفظ "تاكوزولت يدل عرفاً عند أهل المنطقة على الشرف والرفعة، بينما لفظ تاحكات يجيء دون ذلك. ولهذا يستبدل اسم هذا اللف في بعض النواحي خصوصاً الجبلية بلفظة سكتانة التي هي في أصلها اسم لقبيلة تضاد كزولة. وهذا ما جعل بعض المفسرين يفترضون ويرجحون أن المنخرطين في لف تاكوزولت هم من سلالة الرعاة الفاتحين والغزاة الظافرين. أما المنخرطون في لف تاحكات فهم ينحدرون من قدماء الفلاحين المستوطنين بالبلاد قبل مجيء كزولة...» (أصول المغاربة، البحث العلمي، 27، ص. 235).

وبما أن الوجود الجزولي في المنطقة ثابت منذ القرن الحادي عشر الميلادي على الأقل (البكري، 157، 161)، وبما أن منطقة سوس بجبالها وسهولها كانت حسب نفس المصدر أهلة بالفلاحين المستقرين من غير الجزوليين، فإن التحزب الثنائي للسكان كان واقعاً قبل القرن الرابع عشر الميلادي، إذا أخذنا بعين الاعتبار الرأي القائل بأن الجزوليين هم الطارئون.

وتلافيا للدخول في تفاصيل الموضوع المتشعبة، والتي أثرنا بعضها في مادة "تأحكات"، نذكر فقط بأن صيغة "تاكوزولت" و"تأحكات" تمثل الصورة الأخيرة من صور متنوعة اتخذتها ظاهرة الانقسام الثنائي عبر العصور المتغلغلة في الزمن الماضي. ونتيجة، لذلك فإن التفسير الذي يوحى به تأمل الصورة الأخيرة لا يمكن أن ينسحب بشكل آلي ومطلق على الظاهرة الحزبية لا يقتصر على منطقة سوس وحدها.

لم يقع لحد الآن إحصاء كل «القبائل» المنتمية لنحلة تاكوزولت ويبقى «روبير موتتاني» الذي اهتم بالموضوع في كتابه «البربر والمخزن» هو المرجع الوحيد الذي يشفي بعض الغليل. ومن خلال هذا الكتاب، يتبين أن الجماعات التي كانت تنسب إلى تاكوزولت هي الجماعات الآتية: آيت باعمران وآيت الساحل وآيت لمعدر وماست وإيداكورسموكت وإيداوسملالت وإيلالن وتازروالت وإمجاؤ وآيت رّخا ولاخصاص وإيداوزكري وإيداوكنسوس وآيت صواب وإيداوكتير.. وغيرها.

ويبدو أن مراكز نحلة تاكوزولت كانت هي إيليج وتامانارت واكلميم وتيوت. وأن جبل لّكست (انكيت) كان هو المحور الطبيعي الذي استقرت حوله أهم الجماعات البشرية المكونة لنحلة "تاكوزولت".

لا يقتصر الدور التاريخي للنحلتين على المحلي المحدود فقط، بل يتجاوز ذلك أحيانا إلى ما هو وطني أو إقليمي. وهكذا نرى أن نحلة "تاكوزولت" مثلا لعبت دورا هاما في معاضدة المرابطين ومعارضة

الموحدين (أصول المغاربة، البحث العلمي، عدد 27، ص 223). كما كانت وراء تأسيس الدولة السعودية ومملكة تازروالت فيما بعد. وبهذا الخصوص، كتب المختار السوسي ما يلي: «وقد علمنا أن إثارة الدولة السعودية كان من السوسيين أتباع تاكوزولت وكذلك تأسيس دويلة إيليج التي كان لها في سوس والصحراء إلى غينية وراء الصحراء صولة وسيادة، زهاء 65 سنة (1018-1081هـ) ...» (إلغيات، 3، 169).

وفي الأخير، نشير فقط إلى أن القرن الرابع عشر الميلادي يمكن اعتباره فعلا نهاية لـ «جزولة» القبيلة القوية المهيمنة على المنطقة وأنشطتها، وبداية لـ «تاكوزولت» النحلة التي عملت على تقوية نفسها بإلحاق «قبائل» أخرى غير جزولية بصفوفها، ومن أجل ذلك، التجأت إلى أساليب أخرى غير الأساليب «القبيلية» الأصلية. وقد لخص التقى العلوي هذا الانحدار في العبارات الآتية: «وحيثما جاء القرن العاشر الهجري، لم تعد جزولة تذكر كقبيلة، وإنما يعرفها الناس كمقاطعة جغرافية تحمل اسم قبيلة اضمحلت وبقي اسمها للذكريات والإعتبار.

وحيثما أطل على الناس عصر الزوايا والطرق الشاذلية، كان للمنحدرين من سلالة جزولة النصيب الأوفر من هذه الروح الجديدة، فوجدوا فيها بلسما وتضميدا لجروحهم، وتناسيا لمحتهم وفرارا من واقع العبودية والشقاء الذي كانوا يعيشون فيه. وتلك نتيجة حتمية للجماعات والأفراد الذين ينحدرون من قمة المجد إلى حضيض الهوان. وإذ ذلك، انقطعت الأواصر التي تربطهم بالأصول الجزولية. وهبت ريح الانتساب إلى الشخصيات اللامعة في المغرب والمشرق والأندلس بدل الانتماء إلى جزولة فرارا من وصمة الضعف والهوان. وبذلك لم يعد لها

ذكر إلا في أسماء المواقع الجغرافية والأحلاف والتكتلات القبلية»  
(نفسه، ص. 233-234).

وفي انتظار تحقيق دراسة جدية شاملة لظاهرة الانقسام الثنائي على المستوى المحلي والوطني، يمكننا أن نقول دون تردد كبير، واعتمادا على قرائن عديدة، إن الانقسام الثنائي هو تعبير عن واقع تتعدم فيه التكتلات البشرية الكبيرة والقوية وليس العكس. وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار أداة مثلى لتحقيق التوازن الضروري داخل إطار واقع متجزئ بالضرورة لا بالطبيعة.

### المراجع :

= تراجع نفس العناوين تحت مادة "تأحكات" مع مراجعة المادة المذكورة نفسها: لأن ما تتضمنه يكمل إلى حد كبير ما كتب عن مادة «تاكوزولت».

## تِيضَافُ

تِيضَافُ كلمة أمازيغية تعني الحراسة والمراقبة والمتابعة والتجسس والسهر على الشيء أو الأمر.

وقد استعملت استعمالات أخرى في المجال العسكري كما سنرى فيما بعد .

الفعل من الكلمة يضيوف ويعني عاين، راقب، تریص، تجسس، تابع، سهر على ...

وقد استعملت الكلمة منفردة أو مركبة كأسماء أعلام بشرية أو جغرافية للدلالة على معنى مرتبط بالمعاني السابقة الذكر. وهذه أمثلة على ذلك: إيدَاوْنِيضِيْفٌ، إِيكُنْتَاْفَنٌ، يحيى ابن كُنْدَاْفٌ، أَنْضَاْفٌ، تَاضَاْفَتٌ، تِيْنُضُوْفٌ (أي تيندوف الحالية)، أزرو وَأَضَاْفَنٌ...

دخلت الكلمة قاموس التاريخ المكتوب منذ القرن الثاني عشر الميلادي على أقل تقدير، حين كتب أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبليدق كتابه عن أخبار المهدي.

ويكفي أن نورد هنا العبارات التي وردت فيها الكلمة في الكتاب المذكور، لتتضح المعاني التي تؤديها في المجال العسكري على الخصوص «... وجعل المعلوم [ابن تومرت] برجا [بتينمل] يقال له برج

تيطاف، وجعل فيه طبلا، فكان يمسك الطبل عبدالسلام آغيبى... «  
(ص. 80) (قارن مع المحلل الموشية، ص. 112).

«... فدخلنا أزرو [جيش عبدالمومن] وسكانا به (...) ثم تقاسم  
العسكر على أعداد، خرج ابن زگو لبني كانون وخرج آخر لتيطاف...»  
(ص. 89) «... ثم قلع الخليفة [عبدالمومن بن علي] من أگزسيف يريد  
فاسا، فنزل بالمقرمدة، فجاءه أبو بكر بن الجبر بعسكر غمارة، فقال  
فالخليفة للموحدين: أعطونا تيطاف يمشون إلى فاس ويتعرفون إن كان  
هذا الرجل [والي فاس] في قوة أو لا...» (ص. 99).

«... ثم قال الخليفة [عبدالمومن] للموحدين أعزهم الله :  
أعطوني تيطاف يصرفون لمكانسة، فخرج إليهم يدّر بن ولگوط  
فقتلهم جميعا إلا ثمانية من الخيل...» (ص. 100).

انطلاقا من هذه الفقرات يتبين أن كلمة «تيطاف» يمكن أن تعني  
في المجال العسكري المعاني التالية: برج المراقبة أو طلائع الجيش أو  
كتائب لاستطلاع أو فرق الحراسة. والجدير بالذكر أن الكلمة لا تزال  
متداولة في اللسان الأمازيغي رغم التراجع الذي وقع في استعمالها إذا  
تعلق الأمر ببعض معانيها المذكورة.

## المراجع :

- البيذق، أخبار المهدي، باريس، 1958 .
- الحلل الموشية، الدار البيضاء، 1979 .
- محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، ج. 1 (1990)، ص. 260 .
- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire...**, I. p. 260.
- E. Destaing, **Vocabulaire**, Paris, 1920, P. 270.
- E. Laoust, **Contribution...**, Paris, 1942, p.72

# الفهرس

5	تصدير
6	مقدمة
	<b>الأسماء الجغرافية</b>
11	أَغْبَارَ
14	أَكْرَكُور
16	أُوكَدَمَتَّ
19	أُونَاين
25	إيكيلىز
29	إمشليل
32	بجيرة
38	تَاسَافَتَّ
41	تَاكَتَافَتَّ
44	تَالِكَجُونَتَّ
46	تَامَازِيرَتَّ
48	تَاوِينَحَتَّ
51	تُونِكَانَ
53	تِنَمَلَّ
59	دَرَنَّ
62	وادي نفيس
	<b>الأعلام البشرية</b>
67	ابراهيم بن محمد كَتَافِي

72	أَرْعَنَ
75	أَيْتِ إِبْرَاتَنَ
79	إِيكُونَكَا
82	بوعبدلي إبراهيم
89	بيذق
94	تاعزاً بنت ناصر
95	تانكيت
98	المهدي بن تومرت

### المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية

103	أكادير
108	أكغال
112	أكراو
115	أمزوار
118	أمغلر
122	أمنوغال
124	أيت ريعين
126	إيگرامن
129	إينفلاس
135	تاحكات
144	تارگا
147	تاكوزولت
152	تيضاف
155	الفهرس





